صالح خليل أبوأصبع

دعوة عشاء

وقصص أخرى

دعوة عشاء

وقصص أخرى

دعوة عشاء

وقصص أخرى

صالح خليل أبوأصبع

2015

دعوة عشاء وقصص أخرى

الفهرس

1.	ياله من نهار	
2.	سحر يوم ربيعي	
3.	روح هائمة	
4.	الأمل باللقيا	
5.	ويظل ينتظر	
6.	هروب	
7.	قوت القلوب	
8.	الحلم	
9.	رحلة عزيز إلى بلاد الإنجليز	
10.	الحاج مفتاح	
11.	ثلاث زوايا	
12.	الحاجّة هنية	
13.	دعوة عشاء	
14.	كشف حساب	
15.	الميـــراث	
16.	الفقيران والتفاحة	
	ثلاث قصص قصيرة جداً	
	الكمبيوتر وأنا	
	الناموسة	
19.	الهدية	
20.	ما هذا الجحيم كُلَّه ؟!	
21.	حذاء في وجه إمبراطور الشر	

يا لهُ من نهار

يا لهُ من نهار

(إلى الشهيد عاطف بسيسو-استشهد بتاريخ 1992/6/8)

1. عيون منطفئة ... ونهار لَزِج

حينما استيقظتُ على حُلم مُفزع قُلتُ لعله خير . شَربتُ فنجان القهوة ولم أتناول شيئا من الإفطار الذي أُعدَّ لي . غادرت البيت ، وركبت سيارتي ، ويممّتُ شطر البحر .

اليوم لدي مواعيد كثيرة في المكتب ، ولكنني لا أشعر بقدرة على إيجاد أكسجين كاف لي ولهم . ها هو البحر تترامى أمواجه ، ويتقاذفني هاجس الحلم الفزع...

مررت ببعض الناس الذين كانوا يبحثون على أمل فيما وراء البحر . شاهدت بعض الصيادين الذين جمعوا أشلاء مما أعطاهم البحر . وكانت عيونهم منطفئة .

شعرت أن الشمس التي بدأت تنتشر وكأنها تدفقت مرة واحدة ، شعرت أنها أخذت تحاصرني .

وقلت في نفسي يا له من نهار !!

تحسست رقبتي ، وكانت رطوبة الجو قد تركت لزوجتها على جبيني ورقبتي...

هتفت يا له من نهار لزج .

2. نشرة أخبار

عندما وصلتُ متأخرا إلى مكتبي ، وجدت قهوتي التي يُعدّها أبو العبد باردة ... فأبو العبد كما يقول لي : إنه بحضوري إلى المكتب يمكن أن يتم ضبط مواعيد نشرات الأخبار ، حتى لو كانت سيئة . ولذا فإن القهوة تكون في الموعد المحدد على الطاولة .
ويقول أبو العبد لضيوفي : إنه لا يذكر يوما وصلت فيه إلى المكتب متأخرا ثلاث دقائق .
أبو العبد هو دفتر مذكراتي ومواعيدي ...
وحينما تأخرت اليوم ، قال للضيف الذي ينتظرني :
- إذا تأخر فإن مواعيد نشرات الأخبار تتأخر ، قال ذلك ضاحكا ، ثم عقَّب :
- آنذاك حينما يتأخر يكون ما يجب ألا يكون .

3. ساعات بلا عقارب

أنهيت يومي وكان بطيئا . عقارب الساعة كأنها لا تتحرك . أنهيت يومي بدون هِمَّة تُذكر . شربت أكثر من خمسة أكواب قهوة ، ودخنت أكثر من عشرين سيجارة ، وابتلعت قرصين لوجع الرأس .
أنهيت يومي ، ولم يكن لي رغبة في العودة إلى البيت . وسرت بالسيارة دونما هدف .

4. وجوه وأطفال

حينما مررت قرب الحديقة العامة شدَّ انتباهي أطفال يتصايحون ، طفل يجذب يد أبيه ، دُرتُ دورة ثم أوقفت السيارة في مرآب الحديقة ..

وسرت بين جنبات طرقها لا أشعر بجمالها ، ولا بالوجوه التي تضرب صفحات وجوهها بصري...
أطفال يتراكضون ... ومجموعة من أطفال مدرسة ينشدون معا .
كان الأطفال يمتلكون متعة الانعتاق ، ويستحوذون على سعادة لا أجدها في وجوه الكبار الذين يرافقونهم . جلست على مقعد ، وكان على مقربة مني أسرة كاملة ، أب وأم وأربعة أطفال ، الأب والأم مشغولان في حديث لا تتخلله الابتسامات ، أما الأطفال فإنهم يتصايحون ، ويجرون ، ويعودون إلى والديهم...
ثم قال أكبرهم : أبي ، أريدك أن تشتري لي بدلة للعيد .
وبعدها أخذ الآخرون في تقديم طلباتهم . ولم أسمع بوضوح ماذا ردَّ الوالدان على أطفالهم ، ولكن الأطفال لم يعودوا يطالبون بالملابس ، وأخذوا يُغنّون " بكرة العيد وبنعيد " ....

5. سفر بلا وداع

حينما أخبرني عاطف عن سفره قلت له :
" أنت تدرك وتعرف مخاطر السفر ، أرجوك أن تتخلص من هذه الفكرة .
داعبني عاطف قائلا : أنت بحساباتك تخضع لدائرة اسمها الخوف ، ثم أردف : العمر واحد والرب واحد .. وأنت تعرفني سأعيش مثل عمر نوح .. أما أنت فلتمتلك صبر أيوب .
بعد أن سافر عاطف وجدت على مكتبي رسالة منه . يقول فيها إنَّه كان يتمنى — على غير عادته في السفر — أن يودعني ويقبل وجنتي ... ولكن حظَّه لم يوفقه في ذلك . وألح في أنه كان يرغب حقيقة في وداعي مع أنه لا يحب توديع أحد... وطلب مني أن أحتفظ برسالته هذه إلى أن يعود .

6. أطفال العيد

قال عاطف في رسالته : إنه سيعود ، لأنه وعد طفليه أن يعود إليهما بملابس العيد وبالهدايا التي يرغبان بها ، وكتب : تأكد أنني سأكون قبل العيد عندكم .

7. عود إلى البحر

غادرت الحديقة ، ويممت شطر البحر ، وسرت شرقا مع الشاطئ . كانت البيوت تجري سريعا أمام عيني ، والناس كأنهم مجرورون بحبل ، فتحت المذياع ، جاءتني عبره أغنية من الأغاني الصاخبة ، غيَّرتُ مؤشر المحطات بحثا عن شيء أسمعه. كان هناك في محطة برنامج علمي ، وتمثيلية في ثانية ، وقرآن في محطة أخرى . فتركت صوت المقرئ ، ينثال إلى مسامعي من المذياع ، ولم أجرؤ على تغيير المحطة .

8. جرس الهاتف

ها أنا في البيت أستلقي على أريكة في غرفة الجلوس ، التلفزيون مفتوح ، وعيناي تبحلقان ولا تتابعان . جرس الهاتف يرن ، فأستيقظ من صحوي مذعورا . كان جرس الهاتف كأنه ناقوس خطر يرن ، فأفزعني .. وقلت لعله خير ، كلمني ياسر وقال ماذا تصنع ؟ قلت له ها أنا أمضغ الوقت والأسى والترقب .

قال لي : إذن أنت تعرف ؟

قلت له : أعرف ماذا . وانخلع قلبي .

قال عاطف ... عاطف

قلت له : هل حضر ؟!

وتحشرجت الكلمات في حلقه وهو يقول : .... طخوه !! أولاد الكلب طخوه .
أجهش ياسر بالبكاء ، وأقفل السماعة .
تجمدت في عيني الدموع ، وتذكرت أني بقيت حاملا السماعة في يدي برهة ، وأنا مشدود بهول الخبر .
عاطف مات .. كيف ؟
كان مملوءاً بالحياة متدفقا حيوية ... كان يريد أن يعيش مثل نوح ... وكان علي أن أكون مثل أيوب ، آه يا جرس الهاتف .

9. "عمو " يبكي مثل الأطفال

كان مطلوبا مني أن أختار صورة للشهيد ... يا له من قدر !
كان دوما يسخر من الموت ويقول ... أنا سأعيش ألف سنة وسأختار لكم أجمل الصور لنعيكم ...
حينما ذهبت إلى منزله ، كنت متماسكا ، فأنا لا أذرف دمعة من أجل الموت ... وها أنا أفقد شخصا عزيزا علي ، رفقة عمر وزميل عمل ونضال ... وها هو القدر يشاء أن يكون مطلوبا مني أن أنعيه.
ولماّ أحضروا لي ألبوم صوره جاءني طفلاه ، وأمسك أصغرهما بصورة لوالده ، وقال : بابا سيأتي من السفر وسيحضر لي طيارة . وقال الكبير : بابا سيأتي وسيحضر لي معه بدلة العيد .
وقلت في نفسي .. هل معقول أن عاطفا لن يحضر...!
هل معقول أنه لن يأتي ليحتضن طفليه ويداعبهما ويقبلهما .
هل معقول أن الطفلين سيعيشان هكذا ، بدون حضن عاطف ، وضحكته ، وحنانه ، ومداعباته .....
وانفجرْتُ في البكاء في نشيج متصل ، ودَسَستُ صورة عاطف في جيبي ...

وكان الطفلان يتساءلان : لماذا " عمو " يبكي مثل الأطفال ؟

10. صورة الشهيد

كانت صورة عاطف في ملصقات قد غمرت الشوارع ، كانت محطات الأخبار قد تناقلت خبر استشهاده في صدر نشراتها الأخبارية .

حينما عاد جثمان الشهيد .... ، وعادت حاجياته معه ، قال لي مرافق جثمانه : كان بين حاجياته لعبتان طيارة... ورشاش وبدلتا أطفال .

وكنت مع الذين يتلقون العزاء في بيته ، كانت الوجوه معظمها مألوفة لأطفال عاطف وجاءني طفله الأصغر وقال لي: عمو عمو شفت صورة بابا شو كبيرة .

ونظرت إلى الصورة ورأيتها تكبر وتكبر ، وكانت تحجب كل شيء إلا خارطة تكبر معها اسمها فلسطين الوطن .

سِحرُ يومٍ ربيعي

سِحرُ يومٍ ربيعي

كان يوما ربيعيا جميلا ، جماله لا يقل عن جمالها .
وهذا اليوم استيقظ باكرا ، وقبل أن تبدأ العصافير يومها ، ليعانق غناؤها روحه العاشقة .... قال لنفسه: في هذا اليوم الجميل هل يمكن أن أراها . حين سمع صوتها شعر بأنه امتلك العالم وقال في نفسه مع هذا الصوت عائدة لي حياتي.

ها هو الربيع الحقيقي يعيشه مع صورتها وها هي صورتها الجميلة وحديثها العذب يجعلانه أسيرا ... لماذا لا يراها كل لحظة ، ولماذا لا يسمع صوتها كل آن ... هل يمكن أن يعيش هكذا بلهفة التشوق ...؟ ينقضي اليوم بعد أن يراها طويلا طويلا ، ولا يكسر مله إلا إذا سمع صوتها ، فيقول لنفسه: هاهي حياتي عائدة لي .

تستقبله باسمة ويتساءل : هل يمكن أن تشعر هي به كما يشعر بها ؟ ويسألها عن كلمات كتبها ، فتقول له : موافقة على ما كتبت ... ولكنه يريد أن يعرف منها ، ويقترب أكثر ، ولا يقوى على الانفكاك من أسرها ، وهاهي الأوراق بيدها ترتجف وتقول له هذه هي أوراقك ... هذه لحظة يتخيلها فيهوي قلبه .

كم هي رقيقة وعذبة وحساسة ، يريد أن يكون معها بكل مشاعرها ،وعقلها المتفتح ، وذكائها ، وجسدها المتوهج بالحياة. حينما ينظر إلى عينيها لا يستطيع أن ينظر طويلا لأنها تنفذ إلى أعماقه .حينما التقيا معا لم يستطع أن يبوح لها بأحاسيسه أكثر مما كتب لها ، ولكنها بكل تأكيد تدرك عمقها ، أمسك بيدها بين كفيه ، لعله أراد أن يصل بين قلبيهما ، كان اليوم ربيعيا جميلا وكان جماله يلتقي مع جمالها ، شقائق النعمان والأزهار الربيعية تغمر المروج ، التي تتناثر هنا وهناك بين العمران .. ولكن جمالها الربيعي فيه سحر ، كان جمالها رائقا ، وهو يعطي الربيع بهاء ، في عينيها يشعر بكلمات جذلى ، ولكنه يريد أن يسمع منها كلمة ، ولكنها لا تقولها له ...

لماذا يا سحر حياتي تجعليني أهيم وأبحث عنك في عالم لامتناهٍ من الحيرة والأمل .؟ ها أنت تقسين عليّ.
الربيع سحر ، وأنت سحري الذي بات يؤنس وحشة الحياة المملة بدون أن أراك أو أسمع صوتك ...
ها هو لا يهاتفها ليوم واحد ، وهو يشعر بأنه يهرب من قدره ، ولكنه يكتشف أنها السحر بعينه ، لا يرى اللحظات الصغيرة التي يسرقها من بين أنياب الزمن ... ويشعر أن الحياة الحقيقية أن ينغمسا معا ... ها هي تحل في أعماق القلب لتعطي معنى لحياته ، وتكون حياته هي حياتها ، يغمر أنفاسه بأنفاسها ، يندمجان معا في لحظة حب أبدية .
حينما قالت له وهي تبتسم وكأنها تريد أن تختبره : صف لي هذه اللحظة بكلمات ثلاث .
لم يفكر طويلا وقال لها :
- أنت يومي وغدي . ومهما قمت بترتيبها فهي تظل الوصف الحقيقي ، فأنت الربيع الذي تنبثق منه الحياة ، وجمالها .
يأتي العيد وأنت تبعدين عني فيه ، ولكن بهاءه يكتمل بك...
كيف يمكن للمرء أن يسترد أنفاسه والشوق يغلبه .؟
إنك جميلة وأجمل ما فيك النضج والذكاء والاكتمال.
ويشعر بأن الحياة معها تصبح أجمل ، ماذا يمتلكان سويا ؟
هكذا سأل نفسه ، واكتشف أن بينهما أسرارا صغيرة ، تجمع بينهما ، وهذه الأسرار كيف يمكن أن يخفياها ؟
هل يمكن أن يقول أن ما يجمعه بها ليس سوى لقاء الصدفة ؟
هل يمكن أن يقول للآخرين أن ما يجمعه بها ليس سوى المجاملة ...؟
هل يستطيع أن يخفي مشاعره ؟ كيف يمكنه أن ينكر اللحظات الجميلة التي يسرقها من عمر الزمن حينما يتحدث معها لينتقل إلى عالم السعادة ؟

ولكن هي ، ماذا تقول عنه ؟ ماهي حقيقة مشاعرها نحوه.؟.. هل يستطيع أن يعرفها ؟ هل صحيح أنه بالنسبة لها اختيارها ؟ وماذا ترى فيه ؟ إنسان رومانسي تكبله الحياة بأغلالها وتكبلها هي كذلك ؟

ولكن هل يمكن لهما أن ينطلقا بمشاعرهما ليعبرا عنها بعيدا عن الأسرار ؟

هاهو ينتظر بلهفة لقياها ، وينتظر أن يمسك يدها ليشعر معها بالأمان ، ويلثم يدها ويضمها إلى صدره فتكون معهما سعادة الحياة وروعتها. هاهي تحادثه وهو يعرف أن حديثهما هو اختصار للمسافات ، وهو يعرف أنها قوية وذكية ومثقفة ، وهذا ما يعجبه فيها أكثر من أي شيء آخر ، وهو يعرف أنها جميلة ، وجمالها يسحره ،وسحرها هذا يختلط فيه رقتها وعقلها وجسدها وإرادتها .

ها هو يحلم وهي جوهر حلمه ، يطيران بعيداً في عالم البهجة والسعادة واللذة الحقيقية ، هاهو يمسك بيدها ويؤرجحها كما لو كانا طفلين. ها هما يزوران أماكن أثرية تجسد حضارات الدنيا ، ويشعران بأنها امتداد لعبق التاريخ ، ويمتدان معه إلى لحظات المستقبل ، ويعودان يجلسان على أريكة ، فينام على صدرها ليشعر بالأمان ، ويغفو على دفء جسدها ، ويغيب معها في قبلة طويلة معها تستيقظ المشاعر والروح ، وهو يتمتم: أحبك أحبك ، بك حياتي عائدة لي.

1996/4/28

روحٌ هائِمة

روحٌ هائِمة

كانت السيارة تجري وهي تسابق الشمس ، ولم يكن لهيب الأرض الصحراوي قد استيقظ بعد ، وكانت عيناها الجميلتان أمامه ترافقانه في السفر ، ها هو يراقبها ، بسمتها آسرة ، ويشعر أن بُعده عنها لساعات غدا وكأنه أيام طويلة. بدأتْ رحلته مع الفجر ، وكان يشعر بأن سفره لساعات طويلة سوف يترك له المجال للتفكير فيها بشكل غير عاطفي ، وقال في نفسه: لماذا لا أنساها ؟ ها هو يسافر قبل أن يهاتفها ليقول لها وداعاً ، ولكن هل كان هذا هو الهروب الذي يبحث عنه ؟ أم أنه يبحث عن أمر آخر ؟ما جدوى محاولة الهرب ؟ إنه يتحدث عن الهرب من قدره ، ولكن هل هو قدرها ؟ ليس يعرف تماماً ، إنه يشعر بقربها منه ، ويشعر بدفء كلماتها وتذيبه رقتها. وعلى الرغم من أن موضوع حديثهما يكون عادياً يحمل هموم الحياة المألوفة من أعمال وشؤون الحياة ، إلا أنه يشعر أن جو الألفة بينهما لا يمكن أن يعبر عنه ، أو يحكى فيه ، تنمو أحاسيسه نحوها بداخله ، ولا يدري ماذا يصنع حيالها ؟ حينما وصل الفندق في المدينة الكبيرة ، كانت زفات الأعراس عديدة ، واستغرب ذلك ، كان الوقت مبكراً بالنسبة لما اعتاده في بلده ، فالأعراس تنتهي بعد منتصف الليل ، ولكنه هنا يجد أن العرس ينتهي قبل السابعة ليتوجه العروسين إلى الفندق ، ليبدأ شهر عسلهما ، ويبتسم لهذا المشهد الذي تكرر لأكثر من خمسة أعراس ، وتخيل نفسه معها ، داخل جناحه في الفندق ، كانت عيناها تطارده حيثما توجه ، تبزغ بجمالها الهادئ لتستثير فيه أحاسيسه الكامنة. بادر النادل الذي حمل حقيبة ملابسه بتشغيل جهاز التكييف ، وفتح التلفزيون على محطة الشباب ، وكان المغني يغني : " أنا قدرك ونصيبك....

وكانت عيناها أمامه ، وكأنها تقول له أنا قدرك ونصيبك .. أنا قدرك ونصيبك ،

وانتهت الأغنية لتتلوها أغنية أخرى:

"مين حبيبي أنا ؟ ردي على وقولي ؟"

وشعر وكأّن هاتين الأغنيتين قد أذيعتا خصيصاً له.

وقال لنفسه: هل يمكن أن تكون أنت الآن ملء حياتها ، وتشغل تفكيرها مثلما تفعل هي في احتلال قلبك ؟ وتحاصر حياتك. ؟

يبدأ يومه بالتساؤلات ، وتظل عيناها تطارده حيثما يذهب ، وكأنها تكون الإجابة ، حينما تعبر أمامه الفتيات الجميلات لا يرى فيهن شيئاً ، هي بجمالها الهادئ المكتمل ، ونضجها تشكل بالنسبة له اكتمال دائرة حياته ، الموسيقى الهادئة لزامفير **Zamphir** تجعله يهيم في لحظات بهجة مع طيفها الساحر ، هل يجرؤ أن يقول لها عن الحلم الذي يراوده دائماً ؟ :

((ها هو يركب معها قارباً لا يدري في أي بحر هما معاً، لعله على شواطئ بحر اليونان، يجدفان معاً، تساقط رذاذ الماء على وجهها الندي ليكسبه نداوة فوق نداوته، يحكي لها حلمه في طفولته في أن يكون طياراً، ولكنه أصبح شيئاً آخر، لا يدري هل نجح أم لا ؟ وتحكي له عن نفسها وعن أحلامها التي كانت تريدها ولكنها لم تتحقق، ويحكيان عن الطيور التي تأتي لتلتقط السمك وتطير أسراباً أسرابا. ويتذكران الأغاني، وتدفعهما الأمواج، ويستسلمان لها، وتمتد يده ليمسك بيدها ويعصرها بين كفيه، ويشعر أنه يمتلك العالم، وتغفو على كتفه، ها هي سحر، إنها سحر يجذبه إليها، ولا يعرف منها فكاكاً، إنها تصنع من أيامه لحظات ياسينة، وينتهي حلمه ليكتشف أنه وحيد في الفندق، ليس هناك سوى عينيها الجميلتين وسحرهما الذين يأسرانه.))

حينما يجلس معها يشعر بأن خيطاً عميقاً يصل بين روحيهما لم تقل له كلمة واحدة تعبر عن مشاعرها نحوه. ولكنه حينما يكون معها في تلك الدقائق

الخاطفة تكون أجمل لحظات عمره ، يعيش معها لحظات الأمل ، والسعادة التي طالما بحث عنها .

كان دوماً يجري ، هكذا يقول له صديقه ، تعمل وتعمل كثيراً ، وروحك دائماً تبحث عن المجهول .. هل يمكنها أن تستقر ؟

لم يعرف أن هذه كانت حالته طيلة سنوات عمره هي رحلة البحث عن المجهول ، وعلى الرغم من أن حياته كانت غنية بالتجارب ، جال في العالم ، سافر وتغرّب ، وعرف أناساً من أجناس مختلفة ، وصادق من الرجال والنساء العديد ، ولكنه أبداً كان يبحث عن المجهول كما قال له صديقه.ولم تكن سوى الصدفة التي جمعتهما ، لتجعل من روحه الهائمة الباحثة عن المجهول تستقر في راحة مستسلمة مع روحها ، وتكون سحر حياة جديدة تنبثق أمامه وكأنه ميلاد جديد.

ها هو النهر يتمطى أمامه باسترخاء ، وها هي مشاعره تتدفق مع سحر حياة لا يمكنه مقاومتها. وحينما رن جرس هاتف التلفون في غرفة فندقه ، كان أحد أصدقائه على الخط ، يقول له سأمر عليك بعد ربع ساعة ، انتظرني في باحة الفندق ، أريد أن آخذك في جولة في ربوع المدينة لعلك تنسى وعثاء السفر.

حينما جاءه صديقه ، خرج معه ، وكان ينظر إلى المدينة ، ولكنه كان لا يرى في كل زاوية من زواياها ... سوى عينيها أمامه ، وكأنها تقول له كفاك بحثاً عن المجهول... وأغلق عينيه ليستحوذ على عينيها في داخله ويتوحد معها على الرغم من المسافات بينهما. وهو ينتظر أن يسمع صوتها أو يراها.

عمّان (1996/5/8)

الأمل باللُقيـا

الأمل باللُقيـا

وردة حمراء .... شجرة توت .... فنجان قهوة وأوراق بيضاء ، ساعات يقضيها مع نفسه ، ويتساءل عن العلاقة بين الأشياء وبين الناس ، وغالباً ما يستغرق البحث منه جهداً دون العثور عن إجابات . استقبلها باسماً وكانت جميلة ، حديثها دافئ والحيوية تتدفق منها.

قالت له : ها أنت صامت ، وأنا أبحث فيك عن كلمة تقولها . هل ستعترف .

((الاعتراف ، وتداعى إلى ذهنه صورة مشوشة عن التحقيقات ... والذين يبحثون عن الاعتراف عن أي شيء)).

أجابها : ليس هناك ما يقال ، ولكن هناك ما يمكن أن تشعر به.

هل يمكن أن يقول لها ما يتداعى إلى ذهنه الآن ؟

((ها أنت تأتين إلى عالمي وردة تحمل الرقة والعذوبة فتحيل حياتي إلى عالم خيالي ينشد السعادة .

ها أنت تأتين إلي وكأنك تسبحين في فضاء روحاني ، ولكنك تفجرين فيَّ صبابات الروح وشهوة الجسد . وأنت أنت تخترقين عالمي فأضيع في حلم بين شفتيك، وأغرق بين ذراعيك ، أهرب منك نعم ، لأني أخشى لحظة الالتحام حيث تذوب الروح والجسد في عناق يمزج الحلم بالواقع، وتمتزج السعادة بانطفاءات الحياة لحظات المرح معك كلمات، ولكنها لا تذوى، الواقع صخرة، أو أنه سدٌّ ضخم، أو أنه محيط متلاطم الأمواج، كثير الأنواء والعواصف، وأنا ضعيف أسير في خضمه في قارب صغير، وأنت ماذا يمكن أن تعطيني أو أعطيك ....؟ ها أنت تكبرين بداخلي، وداخلي لا يستطيع أن يبوح لك عن ثورة بداخله.... وها أنت تخافين أمواجي، وتخافين اقتحامي .... ولكن يمكن أن تكون تلك اللحظات المجنونة أجمل لحظات العمر.)).

أستبعد الفراق حتى في الحلم ، وأعيش دوماً على أمل اللقاء الذي يجسده سحرك يا سحري ، فأنت عالم مشحون بالعذوبة والإثارة وأحياناً بالغموض ،

وأشعر بحاجتي لأن تكوني معي دائماً وأكون معك حيثما كنت . أسافر في خيالي بارتحال إلى عالم جميل نكون فيه سوياً ، نجري في غابة تلتف فيها الأشجار ، وتنعم بعبق الطبيعة الساحر ، نجري كالأطفال وراء بعضنا ، ويُعيينا التعب فنرتمي في ظلال شجرة ، وأرمي برأسي على كتفك فيمّحى التعب ، وأشعر براحة الجنة وأنا على كتفك .

قاطعته قائلة: أين أنت ؟ ماذا قلت ...؟

(لم يقل لها شيئاً .... وهل يستطيع أن يقول لها كل الذي تداعى في رأسه ولكنه استجمع شجاعته).

وقال لها : رغم البعد بيننا فأنا أحبك .

قالت له : وكيف تغيب عني هكذا .... بدون كلام منك بدون هاتف .... كيف تفسر ذلك . ؟

ويسرح خياله مرة أخرى ويهتف في داخله :

((تنأى المسافات ولا يبقى للقلب إلا خفقانه، ها أنا أيتها الحبيبة أبتعد عنك ، وليس يبقى معي سوى الذكرى، رائحة عطرك، بسمتك، سحرك يا سحري فأعيش في وحدتي أفكر فيك. أعرف أن هموم حياتنا اليومية تفرقنا، ونعيش كل في همّه ، ليفكر بطريقته الخاصة، هموم الحياة والأهل والأمل في حياة يوم مشحون بالعاطفة، بعيداً عن كل الهموم .... أهذا صحيح ؟ هل يمكن أن نبتعد عنها ؟ أو هل يمكن لها أن تنأى عنا ...؟ الأحلام هي أجمل ما في الدنيا، نعيش عليها، وبها يستعيد القلب خفقانه بك، وبالأمل بلقياك)).

ويظلُّ ينتظر

ويظلُّ ينتظر

يكتمل القمر في ليلته الرابعة عشرة ، ليعطي بضوئه فضاءً ساحراً ينعش الذاكرة والحلم والأمل ، وهاهي صورتها لا تغادر مخيلته ، شخصيتها القوية ، و جمالها الذي يقارب صور الشعراء التي تغزلت بوجه المحبوبة بدراً أو قمراً ، أما السحر فلا شيء غيرها ، ينتقل في بلاد الله الواسعة ويظن أنه يمكن أن ينسى سحرها ، هل تبتعد عنه ؟ إنه يظن ذلك ، المسافات تنأى ولكن المشاعر تطغى ، وهاهو يغفو إغفاءة بين اليقظ والنائم ، هاهو سحرها يطغى عليه ، يغفو ويستعيد معها كل لحظة خاطفة رآها فيها ، كل لحظة مسروقة من أيام العمر جلس فيها معها ، يتذكر فنجان القهوة ويتذكر بسمتها ، ويسرح بخياله وهو يعتصرها بين يديه فيستحيلان جسداً واحداً يذوبان باللذة والحب ، ياله من خيال مجنون كيف يجنح خياله بعيداً ؟

كم يحلم باختطاف قبلة يشعر معها امتلاك العالم .إنه يسرق لذة العالم ، ويغتصب منها قبلة ممزوجة برحيق الورد ، وهاهي ترمي برأسها على صدره ، وتتشابك يده بيدها . هل يمكن أن يدور الزمان ؟ ولكن كم هي الأثقال التي تكبلهما ، ويتساءلان كم من العمر يمكن أن نعيش ؟ ليس للحياة الحلوة من حدود ، وهاهي تصنع له السرور الذي لا يراه إلا مع كلماتها وبسماتها ، أي عينين جميلتين تشعان ذكاء وحباً ...؟. ماذا يمكن أن يخبئ لهما المستقبل ؟ كل ما يريده أن يظلا معاً في لحظات مسروقة من الزمن الذي يبخل على العاشقين بلحظة سرور ، إنه يريدها ، وكيف يمكن ذلك وكلاهما مثقلان بهموم المسؤولية ، وأسوار من الممنوعات ، وأصفاد لا يستطيعان منها فكاكاً ؟

يظل يطرح أسئلة على نفسه .... ولا يجرؤ على البوح بها ، يريد أن يصهرها بين ذراعيه ، وتذوب شفتاه في شفتيها .... وهي تنتظر كلماته ، يكتبها لها ، ولا يجرؤ على النطق بها ، ينظر إلى الحياة بتفاؤل ، وحينما يراها يرى أن الحياة تبتسم له ، هي تقرأ ما يكتب ، ولا تكتب له ، ولكن يظل يكتب لأنه يشعر أن ما يكتبه هو جزء من كيانه الذي يريد أن يهديه إليها ، يشعر معها في لحظات خاطفة — وهو يراها وقليلاً ما يراها بمفرده — إنه يريد أن يتوحّدا إلى الأبد . ولكن هل تريده كما هو يريدها ؟ تساؤلات لا تشغله كثيراً ، لأن قراره ليس بيده واختياره لها ليس بيده ، هاهو قلبه يخفق أحياناً كالمراهقين ، ولكنه لا يقول لها كل ما يحب قوله.

ويعيش في حالات من الإحباط ، وأحياناً يرى أنها له ، وأنها معه ، وأنها تعيش نفس الحالات التي يعيشها ، وأنها تشعر به ، وتشعر معه لحظات فرحه وحزنه ، ولحظات أمله ويأسه ، وهو يقول لها أريد أن أكون في حضنك الدافئ ، وتقول له أنت تعجبني ، ويطير من الفرحة ، فرحة عاشق لا سبيل أمامه سوى بسمة الحبيبة وإحساسه بالعواطف المتبادلة . يشعر أحياناً أنها تريده كما يُريدها ، ويشعر بالغيرة عليها ، ويفكر في لحظات أن كل ما بينهما يجب أن يتوقف .... ولكن إحساساته لا يستطيع منها فكاكا ، وهو لا يستطيع أن يهرب منها ، هذا هو القدر الذي يجمع بينهما ، وعليهما أن يستسلما له لأنه يصنع لهما لحظات سعادة لا تقاوم. ينسيان معها كل القيود التي حولها: الأسرة .. الأصدقاء. ولا يبقى لهما إلا الأمل .

الحياة اليومية تستنزفهما ، وكلاهما بالحب يقاومان ، وبالحب يحييان ، هاهي المشاعر التي يختزيانها تعطيهما القوة والطاقة والسعادة. يبتعدان عن بعضهما ، يسافران ، ويلتقيان .وكأن الغياب الذي فرقهما لم يكن سوى لحظات لا تحتسب من حياتهما .

إلى متى يصمدان ويظلان بعيدين ؟ إلى متى يتم لقاء الروح والجسد ليصنع منهما كياناً واحداً ؟

ليس هناك سوى الأمل ، وبه يحيا ، ويظل ينتظر لقاءها ، يعتصر يدها ، ويذوب في حضن دافئ وقبلة حانية ، معها يشعر بروعة الحياة وانتصارها.

28/6/1998

هُروب

هُرُوب

كان يوماً جميلاً أحس به منذ أن قالت له صباح الخير ، مجرد رؤيتها أو سماع صوتها يخلق لديه الإحساس بالسعادة ، كانت تتحمل آلامها ، وشعر لو أنه يستطيع أن يتحمل عنها تلك الآلام ... كيف تسللت إلى أعماقه هكذا ، ؟ لقد عاش سنوات طويلة دون أن يشعر في حياته بدفء العاطفة التي أحسها معها ، كانت حياته حافلة ، كان دوما مشغولاً ، ولم يتذكر أنه يعيش حياته لسنوات طويلة بدون هذه الهمزة العاطفية التي سببتها له ، كان لسنوات يلتقي بالعديد من النساء الجميلات المختلفات في الرؤية وفي إدراك الحياة ، وكان يشعر بأنه قريب من بعضهن يشعر بنوع من الألفة أو الصداقة وقد يندمج في مغامرة هنا أو هناك ... ولكن هزة الروح التي تحققت معها لم يشعر بها من قبل.

هي جميلة ، ولكن جمالها ليس هو الذي يأسره ، لقد عرف جميلات وجميلات ، وحينما ينظر إليها يتمنى لو يدخل إلى أعماقها وينصهر معها وبها ، يسافر كثيراً وترتحل معه بخيالها الذي لا يفارقه ... قد لا يقول لها وداعا ، وقد يعود ولا يستطيع أن يهاتفها حين يعود.

وهو بعيد عنها يكون في شوق لأن يعود إليها ، ويأخذها بين أحضانه ، ولكنه يدرك أن الحواجز تقف بينهما ، يراها للحظات ويشعر أن ما يشغلها عنه أمور لا يستطيع احتمالها ... يريدها أن تكون له ، وأن يكون لها ، أن يخوضا معا رحلة حياة عميقة فيها يتجسد التحام الجسد والروح...

لم يفكر يوما بها كجسد ، وإنْ كان يحلم بأن يكونا معا . يتخيلها معه في رحلاته الكثيرة ، يتخيل أن تكون معه على شاطئ بحر بعيد يسبحان معاً

إلى أن يتعبا ، يعودان معا إلى غرفتهما معا... يتحدثان ويتسامران ثم تُلقي برأسها على كتفه ، فتلقي بهمومها على صدره ، ويمد يده ليسرح شعرها ، ويضع يديه على وجهها ، ويغيبان في قبلة طويلة تلتحم بها روحاهما العاشقتان ...

هاهو يحاور نفسه وعلى استحياء يعبر عن مشاعر غامضة ... هل تحبه ؟ هكذا يقول لنفسه ، وهي تقول له: لست أدري ما الذي يجري ولكنني أشعر بان لك معزة خاصة ... آه ... هل هذا يكفي ...! لم يسمع منها كلمة أحبك ، ولن يطلبها منها ... فهو يدرك أن الحب يُمنَح ولا يُؤخَذ بناء على طلب ... ولذا فإنه يهرب منها كثيرا ، ولعلها تدرك سبب هروبه منها ، لكنها تريده أن يكون معها ... ها هو يكتب لها كلمات في سفره ، ولعلها تقرأها فتجد فيها ما يعبر عن روحه الهائمة:

((ما بين السفر والترحال تعيشين في داخلي ، أشعر بالحاجّة إليك ... أن ألقي بنفسي على صدرك فأشعر بدفء العاطفة والحنان وحرارة الحب ، فأذوب مع سحر شفتيك.

ها أنا أشعر أنك كل يوم تكسبين الحياة لونا بهيجا ، من خلالك بدأت أصحو على حياة مليئة بالأمل ، ماذا أريد منك ؟ هل أريد جسداً أو روحاً ؟

إنني أنظر إليك فأرى فيك كيف تحلو الحياة ... أشعر بأن روحك تذوب في روحي. جسدك لا يعنينني على الرغم من جماله ، روحك الثائرة فيها جمال أتوق إليه ، لأنني أشعر بأنها تعانق روحي المتوهجة بالأمل. أنت امرأة بها سر الجمال الغامض : البسمة الحلوة ، الروح المتمردة ، والقلب الظمآن إلى حب حقيقي.

كيف يمكن أن أتوحد فيك ونحن بعيدان ؟

المسافات بيننا أكبر من أي حواجز يمكن أن يصنعها إنسان ... ولكن يكفيني أن أكون بجوارك معنويا ... يكفي أننا نعيش معا على هذا الكوكب. التقيتك وأقول صباحا جميلا يا أميرتي ، ولكني أشعر حتى حين أكون معك بعمق الحواجز بيننا ، أشعر أنني أريد أن أحتويك بين ذراعي وأعتصر شفتيك الندية

، وأغفو على صدرك الحنون ... لا أستطيع أن أمر عليك لأراك ولعلك تشعرين بأنني أهرب منك ... وأظنني أفعل ذلك ، فأنا أهرب منك إليك ، لأنني أعرف أنني إذا لم أهرب منك فإنني سوف أكون قد قررت أن أغوص في لجة حبك ، روحاً وجسداً ، وهل أستطيع ؟ وهل تستطيعين ؟ وهل نستطيع ؟
لذا فإنني أمام خيار الهروب أو الاستمرار وأنت ما هو قرارك ؟))

قُوت القلوب

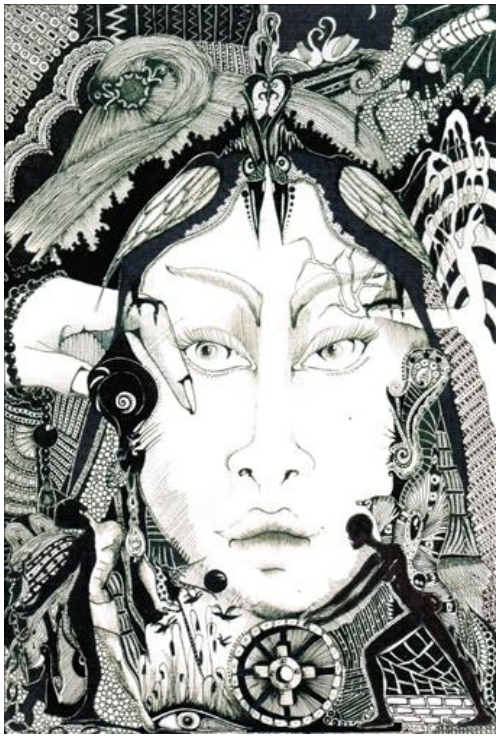

قُوت القلوب

من أنتِ !؟

حينما وقعت عيناه على عينيها. أدرك أن سحراً ما قد انهار عليه كجبل ثلج ... هكذا أحس ، كل شيء فيه قد تجمد ... دماؤه في عروقه ... ولكنه سرعان ما شعر بخفقان قلبه . وبادرها بابتسامة .

وحينما فتحت نافذة سيارتها سألته:

- ماذا هناك.؟

لم يستطع أن يقول لها سوى .. أنت جميلة .

وابتسمت بحياء ، ولكنه شعر أن بينهما شيئاً أكثر من اللحظة العابرة ، وأكثر من البسمة الحييّة.

بالنسبة له كان الأمر واضحاً ، ما اعتمل في نفسه أكثر من مجرد خفقان قلب ، هاهو يشعر وكأنه أمتلك العالم بحديثه معها. كيف يجرؤ على اقتحام عالمها ..!؟ ماذا يمكن أن تقول عنه ...؟ طائش ... متهور...! ولكنه تساءل أيضاً : ماذا يريد منها ؟ حينما ترفع نظارتها ينظر إلى عينيها تنفذان بعيدا في أعماقه ، لتحمل تساؤلات لا يستطيع الإجابة عنها .

هاهو يشكل الصورة ثانية ، هاهو يجلس معها ،

وتسأله:

- لماذا لا تتحدث ...؟

هل يستطيع أن يحكي لها عن مشاعر دفينة لا يعرف كيف انبثقت في داخله .. ؟

كيف يجتاز الحدود التي تقف حائلا بينهما ؟

سألته:

- ماذا تريد!؟

لم يُحِرْ جوابا ...
وبعد برهة ، قال:
- يكفي أن أنظر في عينيك الجميلتين...ثم تابع ، تختلط المشاعر لدي ، ولكني أدرك أنك بالنسبة لي أكثر من عاطفة عابرة ، وأكبر من حلم ، بل يختلط الإحساس بحرارة العاطفة ورجاحة العقل ودفء الجسد.
وحينما أمسك بيدها ، قال لها :
- أي حلم يمكن أن يعيشاه ...!
ليس لديه من خيال سوى لحظات حب تغمر الروح والجسد.
وسألته :
- ثم ماذا ؟
قال :
-هل لديك إجابة ؟
هزت رأسها نافية ، وأدرك أن التفكير بماذا بعد ، لن يعطي إجابة ولن يحقق حلما.
ولكنه قال:
- "هل يمكن أن أهرب منكّ أو تهربين مني ، أشعر أنه لا فكاك ، لقد اشتبكنا في عاطفة توحد بيننا... أهرب منك لحظة لأرتاح منك لثوان ، كي أستطيع أن أواجهك ثانية ... أنت قدري الذي أتساءل عنه دوما ، هل يمكن للمرء أن يصنع العاطفة كما يمكن أن يصنع قرارا. أشعر بالضعف ، هاهو وجهك الرائق ، وضحكتك الصافية ، وجسدك الجميل تجعلني أغمر نفسي فيك روحا وجسدا.
أفكر فيك كثيرا وأتساءل هل يمكن أن أهرب ...!؟ وأنا بالفعل أهرب منك ... ولكن صورتك تعود إلي ثانية...
ليس هناك لنا من سبيل سوى الحلم ... وأن نهرب معا من تعب الحياة ومشاكلها" —

قالت له:
- كيف نهرب معا هل أنت مجنون!
أجابها:
- الجنـون الحقيقـي أن أعـيش حيـاة بـدون لحظـات التوحـد فيـك ومعـك ، لـيس لنـا سـوى أن نعـيش لحظـات ياسـينة ، فالحيـاة مـن حولنـا تجـري ، ونحـن نعـيش أيامنـا علـى قـوت القلـوب ... تلـك الحـرارة التـي تـدفئ أيامنـا معـا. الحـب مـرة أخـرى ذلـك السـحر الـذي يجعلنـي أشـعر بمـيلادي مـن جديد ، ومعك أبدأ الحياة الجديدة ، هكذا قال لها.
وسألته ثانية :
- ثم ماذا ؟
أجاب:
- هاهي الحياة تغمرنا بنعمة الوجود ، وهذا يكفي لأن نستشعر لذتها ، حينما أمسك يدك بيدي ، وحينما أضمك إلى صدري ، وحينما ألثم شفتيك النديتين ... وأطرقت بحياء وهي تستمع إلى كلماته ... ، وحمل لها وردة وقدمها لها ...
حينما أمسكت بها قالت له :
- وردة جميلة ولكنها تذوى سريعا.
قال:
- ولكن الورد يبقى ... وهناك في العالم ورود كثيرة تزهر كل يوم يمكن أن تغمرك ، وتكفي لأن تستمر معنا إلى النهاية.
ترك كفه تداعب شعرها الذي أرخته بانطلاق على كتفيها ، وتركت رأسها تستند على كتفه ، وقالت له: أين نمضي ... ؟

ووضع أصبعه على شفتيها ، وشعر بارتعاشة وهو يلمسهما ، واقتربت منه أكثر ، وشعر بها داخل أعماقه ، وقبّلها على وجنتها ، ثم استسلما في قبلة طويلة ... كانت تلك لحظات لم يشعر بمثلها من قبل ... خبرة لا يعادلها سنوات عمره كلها... كان مستغرقا تماما ، وهو يشعر بأن قوت القلوب هي

الحب الحقيقي والحقيقة الوحيدة في حياته ... وتخيل نفسه معها في رحلة ينعزلان عن العالم يصنعان فردوسهما الخاص بهما .

كان يسرح بعيدا وهو ينظر إلى عينيها وشفتيها الجميلتين وجسدها الممشوق . واستفاق على صوت جرس الهاتف ، ليسمع صوتها ، وكان لا يدري أكان ذلك حلما أم هو الواقع ....

ولكنه اكتشف واقعه وهو في سريره ، وجهاز التليفزيون يبث أغنية عاطفية ، ولكنه أدرك أيضا أن الحلم ما زال ممكنا .. لأن الحب قوت القلوب كما كان يشدو المغني وأخذ ينشد :

آه ، يا قمة من الثلج واللهب
تضرم بيني وبينك
نار الزمان
وجسمك يصبح أفقا
وفيه الثنايا بحارا
ثغرك ينأى كنجم
وتغدو المجرة فيك طريقا
إلى قمة غيبتها الظلال
وأصحو ...
وأعود لأصحو ...
لتكونين أنت حيثما توجهت .

1996/ 4/ 12

الحُلم

الحُلم

كان الجو ربيعيا ، الشمس ساطعة ، وتكسر حرارة أشعتها نسمة باردة ، التي تجعله يشعر بسريانها في عظامه . مرت سنوات طويلة قبل أن يتذوق مثل هذا الإحساس بالجو الربيعي الذي يحيطه ، إنه يحلم :

هل يمكن أن أكون هنا في رام الله ، وأرى بواقي حواكيرها المسلسلة بالأحجار الداكنة المخضوضرة ، هذا الكساء الأخضر المطرز بالحنون والزهر الأصفر والأبيض .

كان يحلم ، لكنه ها هو يشعر بنشوة لا مثيل لها ، ينظر حوله ليجد ظلال أناس يعرفهم ، أطفالا ورجالا كبار السن يلبسون القمباز والساكو ، ويحملون عصيا لا يتكئون عليها ، لكنهم ينظرون بشموخ .

كان الوقت ربيعيا ... وكان يريد أن يفرح .

قال لنفسه ، لماذا تعطيه الطبيعة هذا الإحساس بأنه جزءٌ منها ، كان يعلم أن الاجتياح الهمجي في أي لحظة للمدينة كان ممكنا . من شرق المدينة إلى غربها مسافة ليست طويلة ، ولا يستغرق السير في الطرق المختصرة أكثر من ساعة لاجتيازها .

وقرر أن يسير على الأقدام ، هكذا لأنه كان في حلمه يريد أن يحتضن المدينة شارعا شارعا ومنزلا منزلا .

حينما قال له صديقه حسني أنه سيمر عليه ليأخذه بسيارته ، شكره وقال له أنه يفضل متعة السيرعلى الأقدام ، في هذا اليوم الربيعي الجميل .

كانت أصص الورد على شرفات المنازل مرصوصة ، وكان ليس هناك متسع لأي شيء آخر ، مزدانة هذه الشرفات التي يطل بعضها غربا ، ويطل

بعضها شرقا ، ويطل بعضها جنوبا ، ويطل بعضها شمالا ، ولكنها كانت خضراء خضراء خضراء .

لم يعد يدرك لماذا أراد الاتجاه غربا ، هل لأنه يريد أن يستنشق هواء بحر يافا الذي لا يبعد أكثر من ثلاثين كيلو مترا ؟ . أم أنه أراد أن يرى كيف يتم احتجاز الأرض المشحونة بالاخضرار منذ أيام كنعان بكف كبيرة حمراء ...؟

لماذا هو معنيٌّ بالألوان ..؟ أراد ألا يستفيق من حلمه حتى لو ارتفعت أصوات هنا وهناك ، حتى لوعلا صراخ الأطفال الذين يلعبون ، أو نداءات الباعة الجائلين ،أو أصوات النساء اللائي ينادين أبناءهن ...

ها هي الحياة مستمرة .

ويستغرب كيف أنه خلال السنوات الماضية من عمره لم يدرك أن الربيع له سحره الخاص ، هي لذعة البرد تسري فجأة في عروقه ، هذا القميص الذي يلبسه ، لا يقيه لذعته ، وكأنه يستغرب أن يلدغه البرد ، بينما يرى آخرين يرتدون قمصانا مثله ، ولا يعرف هل يلذعهم برد رام الله مثله! .

كان يحلم أن يحضر حفل نجاح أخيه الصغير الذي كبر -كما يقول- أكثر من اللازم ، دون أن يشعر به. ها هو حلمه يتحقق أخيراً ، يعد أخوه للحصول على الماجستير ، وها هو يراجع رسالته ويساعده في تصويب أخطائها... ويريد الان أن يساعده في طباعتها. حينما بدء في طباعة الرسالة في البيت اكتشفا أن ورق الطباعة لا يكفي . قرر أن يخرج ليشتري له الورق اللازم ، كان يريد أن يعمل شيئا من أجل أخيه الذي كبر فجأة -هكذا كان يقول له- ... لأنه خلال سنوات الاحتلال وما بعد العودة .... لم يكن قد رآه سوى مرتين أو ثلاث ، وآخرها كان في الصف التاسع ...***إنك كبرت فجأة*** ،

هكذا كان يقول له ويعلق:

- حينما نكبر علينا ألا تصغر أحلامنا ، تذكر هذا جيدا ، نحن شعب يجب أن تكبر أحلامنا دوما ...

ها هو يسير ، بعد سنوات من الغياب والمشيب يوشح رأسه ، وعيناه تنظران إلى الغرب ، ولسعة برد ربيعي تهز كيانه ، وحلم يكبر في داخله .... وكان شارد الذهن .

حينما انعطف يمينا ليدلف إلى الشارع الرئيسي وجد دبابة تصوب مدفعها شرقا ، وجنودا يغلقون الشارع بحاجز عرضي ، ويصوبون الرشاشات نحو صدره .

يقترب جندي شاهرا سلاحه وطالبا منه رفع يديه... ثم يسأله أن يبرز هويته ، وقبل أن يمد يده على جيبه ، كان أطفال يقذفون الحاجز بالحجارة ، انطلقت رصاصات ، رصاصة أصابت يده المرفوعة... وأخرى كتفه ، تساءل أهذا مستشفى...؟ وكان يحلم ، مد يده على كتفه ، حرك يده ، ونظر حوله ، كان في فراش بيته ... ولعن الرصاصات التي أيقظته من حلمه.

عمان

2003/12/10

رحلة عزيز إلى بلاد الإنجليز

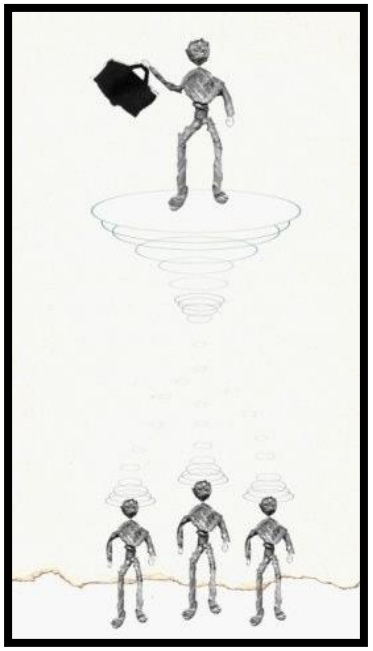

رحلة عزيز إلى بلاد الإنجليز

غادرت المنزل محفوفا بدعوات أمي بأن ينصرني الله ويفتح أمامي الأبواب المغلقة .

ذهبت مبتهجا إلى دائرة الأحوال المدنية ، أنوي تجديد جواز السفر في لحظات ، هكذا شاع الخبر فكل المعاملات تنتهي في لحظات. وحين صافحت عيناي اليافطة التي تقول " قبول معاملات تجديد جوازات السفر" انشرح صدري وفرحت فرحا شديدا . قلت ها أنت يا عزيز قد وصلت إلى مبتغاك .

وحينما فتشت عن الشخص الذي يمكن أن يستلم مني المعاملة ، لم أجده .

وخاطبت نفسي : اصبر يا عزيز الصبر مفتاح الفرج لعله يأتي بعد قليل.

انتظرت ثم انتظرت بلا فائدة ، أخذت أبحث عمن يساعدني في إنجاز المعاملة .

كان علي أن أصعد وأن أهبط من طابق إلى آخر ، وأن أدور بين الغرف ، وأن أبحث عن الرقم غير المدون على جواز السفر.

واستغربت : الرقم ، أي رقم الذي يتحدث عنه الموظف . ضحك وقال لي وعلامة الدهشة في وجهه ألم تسمع بالرقم الوطني ؟كل إنسان له رقمه ، أنت لك رقم وطني ، هات الرقم ثم سأكمل لك المعاملة . أنا مجرد رقم بدونه لا تتم المعاملة ، ما هذا الذي يجري يا عزيز ؟

أخيرا ها أنت تحمل جوازا جديدا برقم وطني ، سيجتاز بك الزمن في القرن الحادي والعشرين ، هل يمكن أن تكون آن ذاك أكثر من رقم .

ابتدأ يومي بأحلام وردية أنتقل عبر الزمن عبر مطارات العالم وأزور لندن ،حالما بلقاءات مع مشهورين ، عارضات أزياء ، ممثلين وممثلات... يحييني هذا ويحييني ذاك ، هذا هو عزيز ، هذا هو عزيز.

جاءك سفيان وأحببت أن تمازحه ،

وقلت له:
- إنَّ أصدقائي أشخاص نافذون من الباشوات إلى أصحاب المعالي إلى من هم أعلى من هؤلاء .
قال سفيان :
- من أين لك معرفة كل هؤلاء ؟ ومن أين لك أن تعرفهم أو يعرفوك ؟
قلت له :
-لأنهم بحاجتي ،
قال سفيان :
-ولماذا يحتاجك عِلْيةُ القوم وأصحاب القرار الذين يمكن أن يصنعوا منك صفرا أو رقما كبيرا ؟
قلت له :
- يا سفيان الناس للناس ابق معي وسوف ترى .

****

جاءني سفيان ليقطع حُلماً كان أقرب للتحقيق ، هكذا ظننت .
قال لي :
- أين أصحاب المعالي والباشوات والأسياد الذين تتحدث عنهم وتدّعي صداقتهم لك ؟ وتابع قائلا :
- إذا أنت اثبتَّ لي ذلك سأدعوك يا عزيز إلى زيارة على حسابي الشخصي إلى بلاد الإنجليز .
لم يكد يكمل كلامه حتى مرت سيارة فخمة تحمل رقما من خانتين . وكان من الممكن أن نلحظ صاحب المعالي داخلها ، وأخذ يشير بيده باتجاهنا كأنه يقصدني ، وأنا أحييه بكلتا يدي.
وقلت لسفيان :
- انظر إنه صاحب المعالي يحييني تحية الصديق للصديق . فهل اقتنعت يا سفيان بأنني صديق للوزراء والباشوات وللأعيان وللأسياد .
وتابعت القول :

-هذا يريك أن عزيز صاحب الدكان البسيط القريب من وسط المدينة أكبر من كل الأرقام ، حيث يلقى التقدير والاحترام ومحبة الجميع . فالعمل الجيد يؤدي إلى سمعة طيبة ،وهناك من الناس من يُقدّر الناس على أنهم ناس وليسوا مجرد أرقام ، وأنا رجل طيب يحبني الجميع ، ولكني إنسان لا يحب أن يدوخ بين دوائر الحكومة لأنه مجرد رقم بين الأرقام ، وأنا لست مغرما بالواسطات ، وأكره أن أدفع من جيبي شيئا للسماسرة ،الذين يقفون على أبواب الدوائر الرسمية ، تارة لبيع طوابع واردات الدولة بأسعار مضاعفة ، أو استلام مبالغ يتقاسمونها مع موظفي تلك الدوائر نتيجة تسهيل المعاملات.

قلت لسفيان- وأنا أشعر بالفخر-:

- لقد كسبت الرهان ، أنت لا تعرف من أنا ، أنا لست مجرد رقم كما يظن رجال الجوازات ، في أوربا ستعرف من أنا ، ثم تحسست جواز السفر لأطمئن على وجوده .

****

بدأت أعد نفسي لرحلة إلى بلاد الإنجليز ، وأخبرت أهلي وأصدقائي بالرحلة المجانية التي كسبتها من سفيان . ومرت أيام وأصبح الجميع يسألونني عن موعد سفري وهم يعدون قوائم الأشياء التي يوصون عليها من السفر ، وكنت أقول لهم إن الموعد بات قريبا .

بدا الأمر لي وكأنه حقيقة واقعة ، وأن تذكرة السفر ستكون في جيبي بعد يوم أو يومين وأما سفيان فقد تبخر ، فتشت عنه وسألت عنه في بيته ولكنه كان قد اختفى ، حتى أهله لا يعرفون أين سافر . بيد أنني بِتُّ مُحرجا مع الأصدقاء والأهل ، وقررت أن أسافر بطريقتي وعلى حسابي هكذا فكرت في الأمر ...

ذهبت إلى السفارة البريطانية للحصول على التأشيرة ، وكأنها تأشيرة للدخول إلى الجنة ...! شروطها لا تنطبق على أمثالي ، هكذا فهمت منهم .

وتساءلت: هل أقعد ملوما محسورا !؟

وخطر في بالي فكرة أن أسافر دون أغادر المكان يا لها من فكرة...!

وبطريقة مدروسة خططت للسفر... حصلت على غلاف تذكرة قديمة من أحد الأصدقاء ، وصرفت بعض الجنيهات الاسترلينية ، وحرصت على أن أضعها داخل جواز السفر بحيث يظهر طرفها ، وقد رأى العديد من الأهل والأصدقاء جواز السفر والتذكرة والجنيهات الاسترلينية ، ودعّتهم وقررت أن أختفي في المدينة مدة أسبوع وأعود.

****

حملت حقيبتي إلى فندق صغير في الضواحي ، قلت لن يعرفني أحد فيه ، وأعود بعد أسبوع ، وأنا أحمل ذكرياتي عن بلاد الإنجليز . وكنت قد أعددت نفسي في التعرف على بعض المواقع الهامة في لندن بدراستها من كتب الدعاية الموجودة في مكاتب السياحة والسفر ، وحين أعود سيسألني الأصدقاء عنها وسأجيبهم إجابة العين المُجرِّبة .

بقيت الأيام الثلاثة الأولى في هذا الفندق الصغير على أطراف المدينة الذي يرتاده سائقو الشاحنات التي تنقل الخضار من سوريا ولبنان وتركيا إلى دول الخليج . تعرفت على بعضهم ممن كان لهم خبرات في أوروبا ، وحدثوني عن مغامراتهم هناك.

كنت أستشعر صدق بعضها وكذب البعض الآخر ، وها هي الفرصة أمامي لأختبر ما سأقوم به بعد عودتي.

سارت الأمور على ما يرام ، يومان آخران انقضيا ، تعرفت فيهما على ضيوف عابرين جدد ، وتعرفت على عبّود الذي يعمل في الفندق نادلا ويرتب الغرف ، ويُعّد الشاي ، ويعمل على استبدال العملات ، ويبيع سجائر مهربة وأشياء أخرى .

أصبحت علاقتي به خاصة .... وكان يستمع إلى أحاديثي عن الأشخاص المهمين الذين أعرفهم ، وكان يخصني بإعداد قلاية البندورة ،إذ يحضرها بعد أن ينتهي من نوبة عمله إلى غرفتي ونأكل سويا .

أسَرَّ لي عن دخله الذي يربحه من بيع المهربات ... وطلب مني أن يترك حقيبة له في غرفتي لأنه لا يثق بأحد سواي . الآخرون يطمعون به هكذا قال لي . لم أتردد في قبول أمانته لدي .. لم أسأله عما تحتويه .. فالرجل يثق بي كيف إذن لا أثق به ؟

وقلت له :

- لو احتجت إلى أي مساعدة بعد أن أغادركم فعنواني لديك ويمكنك أن تجدني صديقا تعتمد عليه .

****

تجري الرياح بما لا تشتهي السفن ... في اليوم السابع حزمت حقيبتي ، وتركتها جاهزة في الغرفة كي أحملها عند المغادرة. نزلت إلى صالة الفندق لتناول الإفطار ، وأدفع الحساب للمغادرة.

دخل مجموعة من رجال الأمن ... طلبوا إغلاق باب الفندق ، منعوا الجميع من المغادرة ... طلبوا وثائق جميع النزلاء ... وابتدأوا بالتفتيش غرفة غرفة ... كانوا يدخلون الغرف بحضور أصحابها . طلبوا مني أن أفتح الحقيبة .. بعثروا محتوياتها .... طلبوا أن أفتح الحقيبة الأخرى حقيبة عبود ... لم يكن مفتاحها معي .. قلت لهم أنها ليست حقيبتي وهي حقيبة عبود .. جاء عبود لكنه أنكر ملكيته لها . كسروا قفلها فتشوها ... وكانت المفاجأة .... حقيبة ممنوعات..... يا للصدمة ...!

****

ها أنا مقيد اليدين ، وسيارة الأمن تنهب طريقها باتجاه المركز الأمني ..

ها أنت يا عزيز مكبل اليدين ها أنت محبوس ، بدلا من أن تعود إلى منزلك . وفي غرفة الحجز التقيت وجوها كثيرة ، غريبة عني: لصوص ، وآخرون محتجزون لحوادث مرور ، أو شيكات دون رصيد .

ما فاجأني أنني وجدت سفيان .

أهذا هو سفيان أم شبيه له ؟ ناديته اقترب مني ، وبادرني بقوله عزيز ماذا تفعل هنا ؟

قبل أن أسأله السؤال ذاته ضحكت ، وقلت له : ها هو عزيز يسافر في رحلة على حسابك إلى بلاد الإنجليز .....

أخذت أضحك وأضحك وأضحك حتى خالني المحجوزون بأن بي مَسٌّ من الجنون .

عمّان2004/1/4

الحاج مفتاح

الحاج مفتاح

يبعد بيته عن وسط المدينة أكثر من عشرة كيلومترات ، حينما بناه على أطراف مزرعته سخر منه الناس ، انظروا أين بنى مفتاح منزله في مكان قصي ؟

كانت المنطقة مشهورة بمزارعها ، وبدير يقيم فيه بعض القساوسة ، البعض كانوا يطلقون عليها اسم منطقة المزارع أواختصارا المزارع ، والبعض الآخر يطلق عليها منطقة الدير أواختصارا الدير .

وحالما بدأ مفتاح في بناء بيته أصبح البعض يستخدم لها اسم ورشة مفتاح ، ثم بعد أن اكتمل البناء أصبح البعض يطلق عليها اسم منطقة بيت مفتاح أو بيت مفتاح ،ثم أصبحوا يطلقون عليها اسم منطقة مفتاح ...وحينما أصبح هناك مواصلات عامة إلى المنطقة ، كان معاون سائق الحافلات ينادي على الركاب ...إلى المفتاح ...إلى المفتاح . بعد سنوات أصبحت تقرأ على الحافلات كلمات (وسط البلد - التلة - المفتاح وبالعكس).

أهل البلد القدامى ، كانوا يعرفون قصة مفتاح ولماذا أصبح اسم المنطقة المفتاح .

ابتدأ العمران يأكل الأراضي الزراعية...أصبح لمفتاح جيران كثيرون ، بدأ العمران يتسلل أولاً إلى بعض المزارع التي يبني فيها الأبناء على أراضي آبائهم ، ثم شيئاً فشيئاً ابتدأت بعض أراضي المزارع تتفتت بين أكثر من مالك التي اشتروها من الذين يبيعونها لمن يريد ، وكان منصور مقاولاً فطناً لم يغب عن باله أهمية موقع هذه الأراضي وقربها من المدينة ، اشترى الكثير من الأراضي ملاصقة للشارع الرئيسي ثم اشترى ثلاث مزارع كبيرة في الداخل .... وشق طريقاً إليها عبر أرضه لتصل الشارع الرئيسي ، وبعد ذلك قسمها قطعاً صغيرة وبدأ مشروع المفتاح :

" اسْتَلِمْ مفتاح منزلك في منطقة المفتاح بالتقسيط المريح ... حيث الراحة التامة بعيداً عن ضوضاء المدينة ". كان هذا إعلانه .....

في البدء لم يعبأ الحاج مفتاح بالمالكين الجدد الذين أصبحوا يسكنون بالقرب من مزرعته وبدأوا يحيطون به ، أحفاده وأولاده و زوجته سرّهم ذلك ، فهم يشعرون بالأنس ، وأصبح هناك من يلعب مع الأولاد من أولاد الجيران ، وأصبح لفاطمة - وهذا اسم زوجة مفتاح - جارات يزرنها ويشربن الشاي معاً ، ويتجاذبن أطراف الحديث حول النسوة اللاتي لم يحضرن.

كان مفتاح مسروراً أيضاً ، لم يكن يفكر بسعر أرض مزرعته الذي ارتفع ، لكنه كان يفكر بالجيرة - والنبي أوصى على سابع جار - كان يقوم بالواجب ، و يمد العون لكل ساكن جديد ، وبعد فترة أصبح مفتاح هو مرجع المنطقة يعرف سكانها واحداً واحداً ...والحكومة تريد أن يكون هناك من يعرف الناس واحداً واحداً .

طلبوا منه أن يصبح مختاراً للمنطقة ...(أو شيخاً للمحلة كما يسمى في بعض البلدان العربية) لكن هذا الأمر لم يرق له في البداية ، ولكن زوجته وأولاده وأقاربه ، شجّعوه على ذلك . أن يكون مختاراً أي أن يكون قريباً من الحكومة ، وهذا الأمر يجعله ذا حظوة وكلمة مسموعة في الدولة .

وقبل بالأمر ،وأصبح بيت مفتاح يُعرف باسم بيت المختار ، وأبناؤه أبناء المختار ، وعائلته عائلة المختار.وحينما تبرع بجزء من أرضه ليبني عليه مسجداً أصبح اسم المسجد مسجد المختار .

وحالما اكتمل بناء المسجد أصبح مكاناً يحيي فيه أهل منطقة المفتاح مناسباتهم الاجتماعية ، أصبح المسجد - وهو بجوار منزل مفتاح - هو المكان الذي يلتقي المختار فيه أهالي منطقته ، يتحدثون في أمور دينهم ودنياهم ، ويحل مشاكلهم ويساعدهم في قضاء شؤونهم .

استملك سكان المنطقة بيوتهم بالقسط المريح ، باستثناء ثلاثة منازل اشتراها أحد المستثمرين كي يؤجرها ليضمن له دخلاً شهرياً ثابتاً ،

منزلان منهما استأجرهما شخصان من عائلة واحدة ، أما المنزل الثالث فكان سكناً مفروشاً سكانه يتغيرون ، حتى أن المختار نفسه لم يعد باستطاعته معرفة من سكن فيه أو من رحل عنه . إلى أن جاء عبّاد ، ولم يكن أحد يعرف ماذا يعمل ، حتى المختار نفسه لم يعرف حقيقة عمله ، كان يقول إن عمله في المقاولات والتجارة ، لكن لا أحد يعرف له مكتبا ، ولا رأى له متجراً . كان يغيب ويعود ، ولكنه - والشهادة واجبة - أنه كان ودوداً طيب المعشر ، يخدم أهل المنطقة ، ويساعد المختار فيما استعصى عليه من مشاكل مع الحكومة ، وكان عند حضوره ، لا يفوته حضور صلاة الجمعة ودرسها الديني ، وفي أحيان كثيرة يقوم المختار مفتاح بأدائه ،

هكذا تطور وضع مفتاح سنة بعد سنة: مع تقدمه في العمر أصبح المختار ، ثم أصبح هو الذي يؤم في المسجد وفي أحيان كثيرة يقوم بدروس دينية وليُعرَف بعد ذلك بالشيخ مفتاح ، حينما أدّى فريضة الحج أصبحوا ينادونه بالحاج.

أصبحت المنطقة من المناطق الحديثة الراقية. يسكن فيها كبار رجال الدولة والمتنفذون ، وهم أنواع : تجار معروفون وموظفون كبار محترمون ، وآخرون موظفون كبار لصوص ، وضباط جيش ، ومُخْبِرون ، وتجار ممنوعات أثرياء ، والجميع كانوا يعرفون المختار مفتاح ، أو الشيخ مفتاح أو الحاج مفتاح.

بعد فترة أصبح مفتاح يصلي الفجر حاضراً كلما سمح له الأمر ، في البداية كان هذا الأمر غير لافت للانتباه ، بعد فترة انتظم حضوره مع بعض الجيران في صلاة الفجر حاضراً.....وهذا أمر أصبح مدعاة تساؤل .

لم يكن كل من يسكن يحب مفتاح ، بعضهم يحترمه ولا يحبه ، وبعضهم يغار منه ويحسده على مزرعته الضخمة التي تساوي الملايين ولا يريد أن يبيع منها شيئاً ، والبعض يستهويه أن يكتب التقارير في أي أحد ، وهؤلاء كلهم كانوا يعيشون مع مفتاح ، وينافقونه ويأكلون من خبزه ويشربون شايه ويسهرون في بيته .

****

هذه صورة عن منطقة المفتاح ، وسبب اسمها وتعرفنا بمفتاح قبل أن يصبح مختاراً ثم بعد أن أصبح شيخاً وحاجّاً. والآن إليكم قصته كيف أصبح سياسياً .

****

أنا المدعو محمد علي الشاهد أقرُّ بأنني أسكن بجوار الشيخ مفتاح منذ سبع سنوات ، وأعمل صحفيا ،وكنت أزوره من فترة إلى أخرى ، ولم يقصر معي حين سكنت إذ قام بواجبه نحوي فأولم لي ولأسرتي ، وحين أنهى ابني الجامعة ، جاءه بهدية فاخرة . وأنا كذلك لم أقصر مع أبنائه وبناته الذين نجحوا أو تزوجوا أو أنجبوا . وكنت أشارك وغيري من الجيران في المناسبات المفرحة والمترحة .

كانت منطقة المفتاح تمتاز بروح اجتماعية تجعل المرء لا يشعر فيها بالغربة . جاءني الابن الأكبر لمفتاح وقال لي لقد اعتقلوا والدي ومجموعة من المصلين فجر اليوم ...ولا أحد من أجهزة الأمن يريد أن يخبرنا شيئاً عن السبب . وأنت تعرف أبي جيداً لا علاقة له بالسياسة . عاش حياته يخدم الناس ، بل ويخدم الحكومة مختاراً بناءً على طلبهم ، فلماذا هكذا في شيبته يبهدلونه !؟

أنت صحفي يا أستاذ محمد وأعرف أن رجالات الدولة في الأمن وغير الأمن يحترمونك ...نريد أن نعرف ماذا يجري ؟...لماذا هذا الظلم ؟

طمأنته أنني سأقوم بالواجب ، وقلت له :لا يمكن أن يساء إلى والدك ، فما جرى لن يكون أكثر من سوء فهم ليس إلا .

****

الظلم الظلم الظلم رنّت هذه الكلمة في أذني كوقع طبل لماذا يمكن أن يعتقل العم مفتاح ؟(هكذا كنت أناديه). ما أعرفه عنه أنه رجل مستقيم ، يقدم الخدمات لمن يطلبها . ويقوم بفعل الخير كلما أمكنه ذلك ، لم يهتم أبداً بأمور السياسة ، حينما كنا نتناقش في أمور البلد ، كانت استجابته دوماً

التسليم بالأمر الواقع ، ويقول "اتركوا الأمر لأولي الأمر" . لم أره يوماً معنياً بقضايا السياسة ، يمكن اعتبار الأمر الوحيد الذي كان يعنيه ويشغله ويتابع أخباره بشغف غير محدود وبأسى واضح ، هو موضوع فلسطين ، عدا ذلك ما كان له اهتمام في أمور السياسة.

حزمت أمري وقررت أن أقابل مسؤولاً أمنياً كبيراً تربطني به صداقة تمتد إلى سنوات الدراسة الابتدائية .حينما التقيته كان ترحيبه بي حاراً ، وتساءل عن سبب انقطاعي عنه طيلة أشهر عديدة .

داعبته قائلاً:

-أخشى أن أزوركم ثم تنقطع أخباري كما تنقطع أخبار العديد من الناس . ابتسم وقال أنت الصحفي غيابك سيغطي أخبار وسائل الإعلام .

ثم بادرته :

-ماذا يجري ؟ كيف تحتجزون العم مفتاح ؟

ورد علي باستغراب:

-أتعني الشيخ مفتاح ؟ ، لا أنت لا تعرف عنه شيئاً إنه خطير ... إنه رأس مدبر لتنظيم سياسي يديره من مسجده .

ضحكت وقلت له :

-لا بد أن هناك سوء فهم .

لكن المسؤول أصر بقوله:

-هناك حقائق ثابتة ، وجدنا معه قائمة بأسماء التنظيم .

طلبت منه أن يسمح لي بزيارته لأعرف منه شيئاً وأطمئن أسرته عليه ، نادى على ضابط يُسمى عبّاد . فوجئت بأن عباد هو جارنا الذي كان متستراً بالتجارة بدون تجارة ، أرسله برفقتي لأزور " العم مفتاح " وحينما التقيته شعرت بانفراج أساريره ، وصاح أنقذني يا أستاذ محمد ويا عبّاد إنني والله بريء مما يتهمونني به .

جلست معه بحضور الضابط عبّاد ، وقلت له يا عم مفتاح ، إنهم وجدوا معك قائمة من الأسماء أليس هذا صحيحاً ؟

قال :

-نعم وماذا في ذلك ؟

قلت له:

-إنهم يعتقدون أنها قائمة أسماء تنظيم أنت ترأسه .

ضحك ضحكة طويلة ....وقال :

- هذه قائمة أسماء لم تكتمل ، اسمك واسم عبّاد من ضمن الأسماء التي لم أكمل تبييضها ، والمسودة في دفتر قديم ، دأبت طوال حياتي أن أسجل أسماء الذين قدموا واجباً لي وعلي أن أسدد التزاماتهم نحوي.

قال الضابط عبّاد :

-هل أنت متأكد أن لديك مسودة من ضمنها اسم الأستاذ محمد واسمي.

أجاب :

-نعم .

قال لي الضابط :

-هيا بنا .

ذهبنا إلى رئيسه ، وقال له :

-يبدو أن هناك سوء فهم ، فلتسمح لنا بإحضار قائمة أسماء أخرى موجودة في بيته ،يقول أنها أسماء من سيقوم بواجبات اجتماعية نحوهم .

سمح المسؤول لنا باصطحاب العم مفتاح إلى بيته ، دخل بيته وأحضر دفتراً مهترئاً فيه العديد من الأسماء ، بينها اسمي واسم عبّاد ،بل وأسماء أشخاص أهم مني ، وأهم من المسؤول الأمني ...أسماء ضباط ، ووزراء ، وآخرون عديدون . وكنت تجد أمام كل اسم ما قدمه له من هدايا في مناسبات عديدة كزفاف أبنائه أو مواليد جُدُد أو نجاح الأبناء ، أو غير ذلك .

ابتسم الضابط وقال لي :

-يبدو أن معظم قيادات البلد جزء من التنظيم أنت وأنا والجميع .
وخرجت والضابط وكان الدفتر القديم بيده وهو يهز به في الهواء وهو يقول يا لها من وثيقة . عمان2004/3/19

ثلاث زوايا:

الطالب و الصحفي والمُخْبِر

ثلاث زوايا:

الطالب و الصحفي والمُخْبِر

1-الطالب

يعجبني ازرقاق البحر .....السماء حينما تسدل خيمتها عند أطراف البحر.....الأرض حالما تلامسها أمواج البحر ، يعجبني إطراء الناس لتهذيبي ..... ويعنيني كثيراً رضى أمي ، دراستي في جامعة أجنبية كان حلماً لي .....حصلت على البعثة وها أنا أكاد أنهي سنتي الأخيرة .....تعلمت أشياء كثيرة ..... كيف ألبس وماذا آكل من الوجبات السريعة والوجبات الفاخرة في المطاعم الكبيرة . ،

تعلمت ما يمكن أن أحُمد عليه ، وما لا أحمد عليه ، تعلمت شرب البيرة وتعودت أن ألتقي الصحفي في حانة صغيرة ، كان صحفياً ، يصدر مجلة أسبوعية . ويشرب كثيراً ، كان رقيق المعشر ، رفيق كأس - كما يقال- لايجارى ، كريما ، يتحدث كأنه مدمن ، ولكنه يعيش صاحياً دائماً.

****

2-الصحفي

حينما التقيتك في الحانة ، كُنتَ وحيداً ملامحك لا تخفى على أي فَطِن أنك من بلدي .

بادرتُك التحية ، ودعوتُك على كأس ، استجَبتَ للدعوة ، عرفتُ أنك طالب تدرس الفندقة هنا ، مبتعث من الدولة ولم يبق لتخرجك سوى فصل واحد ، كنت رقيقاً حلو المعشر ، صاحب نكتةٍ ضحوكاً ، قهقهتك تخرج من القلب ،

تتدافع كلماتك كأنها حلقات من فقاعات صابون تتطاير في الهواء ، حينما تبدأ في الحديث لاتعرف كيف يمكنك أن تنتهي ، لعلك تعلمت من "جيمس جويس " كيف كان ينتقل في متاهات الزمن والذاكرة والعقل ، أَلْفْتُكَ إلى درجة أنني إذا لم أجدك يوماً في نفس المكان ، كنت أفتقدك ، وكنت أحجز لك كرسياً وأطلب لك علبة البيرة التي تفضلها ، قد تتأخر قليلاً ولكنك كنت تحضر. هذه أول مرة تغيب تماماً ، انتظرتك لكنك لم تحضر ، غبت أربعة أيام متوالية ، لم يخطر في بالي أن آخذ عنوانك ،ظننتك رفيقاً عابراً ، رفيق كأس ، ولا أحتاجك إلا لمنادمة ، يمكن أن أستعيض عنها بأي من رفاق العمل أو الأصدقاء ، أعترف أنني في قرارة نفسي كنت أظن أنني لن أتذكرك أو أحتاجك .

كنت أعمل صحفياً ووضعي الأدبي والمادي مستقران ، وفي بلدي لي علاقات واسعة ، وهنا لي نفوذ بين الجالية العربية ، وعلاقاتي وطيدة مع السفارات العربية ، إذن ماذا أريد منك ؟

****

كل ما عرفته منك ، اسمك واسم قريتك وهي تبعد كثيراً عن العاصمة .... ذَكرتَ اسمك ثلاثياً ، ولكنكَ لم تذكر اسم قبيلتك ، كُنتَ بكل تأكيد تنتمي إلى إحداها ، حينما كنت تثرثر تؤكد عدم رغبتك في الانتماء القبلي .... كنت تتحدث ببساطة وأنت تفلسف الأمور وتتساءل " أنا من أنا ...!؟ حينما ولدت كتب علي كما كتب على كل مولود جديد فور خروجه إلى الحياة ،أن يصبح مولوداً قديماً".

فكرة القدم تلح عليك ، تتنقل من وجودك لتمتد إلى آدم . وتسألني هل أؤمن بتناسخ الأرواح ؟ وتسألني عن الثنائيات ؟ الانسان: رجل و امرأة روح و مادة ، لماذا كتب على الإنسان النزاع منذ بدء الخليقة .الشر والخير / الحب و الكره /الموت و الحياة / الخيانة و الإخلاص .

لايمتلك المرء سوى أن يعيش في عالم متناقض ... الشئ الوحيد الذي يمتلكه المرء هو خلاص نفسه/

كأس في صحتك / وتنطلق منك قهقهة عالية .
كان حلمك أن تنتهي دراستك لأن أُمَّك الأرمل بانتظارك ... وكانت توصيتها لك ، بأن ترفع رأسها لئلا تُعيّرها نسوة القرية ((بتربية ابن الأرملة)) وكان لا يعنيك أمر القرية ولا القبيلة ولا حتى الحكومة .
كنت تفلسف الأمور وتنتظر أمراً ما ..... ولكنك لاتتدخل في أمور السياسة

****

3-المُخْبِر

هو واحد من أولئك المُخْبِرين الذين لا يُخطئهم البصر ولا البصيرة / أنت تعرفه منذ كنتما في المدرسة / كان منافقاً وهتيفّاً ، يعرف كيف يداهن ويشي بالآخرين ، وبعد أن كبرتما افترقت السبل بينه و بينك .
هو يكتب التقارير في البشر- صحت أم لاتصح- ، أنت صحفي تكتب التقارير عن البشر التي تصح أو يفترض أن تكون صحيحة .
ولذا كان يقول لك:
- ما الفرق بين مهنتك ومهنتي كلاهما كتابة تقارير ....!
ويضحك ويظن أن وظيفته وفرت له الأمان والقوة والنفوذ .
حينما يسأله الصحفي :
- هل تنام قرير العين ؟ لكنه أبداً لم يجب .....
حينما جاءك إلى مكتبك في المجلة ، أفضى لك سراً خطيراً ، ذلك الشاب الذي اعتدت منادمته متورط في مؤامرة مع جهات أجنبية لقلب نظام الحكم .
وقال لك:
-" أنا هنا في مهمة رسمية ومطلوب منى أن أجمع المعلومات عنه وأحاول إرجاعه إلى البلاد مهما كان الثمن " أدهشك كلامه ، وقلت له :
-عن أي شخص تتحدث هل تتحدث عن ذلك الشاب الذي يدرس الفندقة أنا أعرفه أنه لاعلاقة له بأي شيء ؟

أجابك وهو يشعرك بتعالمه
- " أنت مخدوع به ويعرفون علاقتك به ، ولذا يطلبون منك أن تساعدني في مهمتي ".
قُلتُ له :
- أظنكم تظلمونه ، ولماذا لا تتعرف عليه ومن ثم تحكم عليه .

****

4- الطالب

حينما علمت بمرض أمي كان علي أن أرسل لها رسوم الدراسة التي أتقاضاها من المنحة ، كي أؤمن لها نفقات العلاج . لذا انقطعت عن الدراسة في هذا الفصل . وأثناء تدريبي في أحد الفنادق تعرفت على أحد الدبلوماسيين العرب ، وحينما انقطعت عن الدراسة لمدة فصل توقفت المنحة ، فعرض علي هذا الدبلوماسي أن أعمل عنده .....لم يعد وقتي بيدي ، لم أعد قادراً أن أذهب إلا لماما إلى المقهى التي اعتدت ارتيادها ، وأصبحت ألتقي الصحفي مصادفة الذي كان يوّفر الشراب لي كلما أحضر. ها أنا منقطع عن الدراسة ... منقطع عن الشرب منقطع عن الدنيا كلها .... ما لَديّ من أحلام تضيق لكي تكون بحجم الرسوم الجامعية التي يجب أن تتوفر لتسمح دفع رسوم التخرج من الجامعة .

****

5-الصحفي

بحثت عنك وأنا أشعر بالقلق عليك ، أزعجني هذا المُخْبِر الذي جاءني بما يضرك ويسوءك كلفت بعض المحررين في مجلتي أن يبحثوا عنك . كنت أريد أن أراك وأحادثك قبل أن يلتقيك المُخْبِر .
حينما جئتني إلى المجلة كنت منزعجاً ، وتساءلت قائلا :

-ماذا هنالك !؟ أبلغني أكثر من شخص ضرورة مقابلتك..... ها أنا معك .... ماذا هناك ؟
سألتك عن سبب انقطاعك عن الحضور إلى المقهى ، وما هو وضعك المالي !؟
أخبرتني عن حالتك ووضع أمك الصحي ، وتأخرك عن دفع مصاريف الجامعة التي أرسلتها لعلاج والدتك ، مما أخر تخرجك واضطرارك للعمل لدى دبلوماسي عربي أعرفه جيداً ، كي تجمع الرسوم التي تساعدك على التخرج لانقطاع منحتك .
سألتك :
-هل تخطط للعودة إلى الوطن .!
أجبتني :
-هذا حلمي .. وحلم أمي ، أنتظر العودة بفارغ الصبر بعد تخرجي إنه حلم أمي ولا أريد أن أفشلها وسألتك ألا تخشى العودة ؟
أجبتني بانفعال :
-ولماذا أخشى العودة إلى بلدي !؟
أيقنتُ من حديثي معك أنك ضحية كذب لايحتمل .

6-الصحفي والمُخْبِر

التقيا معاً ليناقشا أمر الطالب ، قال الصحفي للمُخْبِر هذا ضحية كتاب تقارير ، وليس لديه مايخشاه كي يعود إلى الوطن . عمله لدى الدبلوماسي لتغطية رسوم الجامعة وتكاليف الإقامة ونفقات السفر .
وعليك أن تلتقيه لتعرف حقيقة أمر رسومه الجامعية ، والدته المريضة / شهادة التخرج التي ينتظرها / عمله لدى الدبلوماسي ، عليك أن تخاطب رئاستك أن الطالب ليس إلا شخصا في ضائقة أوقعه فيها التزامه نحو أمه.

7-المُخْبِر

سمعت رأي الصحفي ، وأخذت برأيه التقيت الطالب في جلسة عشاء دعانا إليها الصحفي تحدثنا في أشياء كثيرة حاولت استدراجه لكنه أحد اثنين إما أن يكون بريئاً وساذجاً تماماً ، أو أنه ذكي جداً وخطير ، وذلك أمرلا يمكن الجزم به .
و هذا ما سأكتبه ...!

****

8- كلمة قبل الأخيرة :

قام الصحفي بتوفير المبلغ الذي يحتاجه الطالب ، سَدَّد رسوم الجامعة ، وحصل الطالب على شهادته الجامعية ، وابتاع له تذكرة عودة إلى بلده ... وأصرَّ الطالب أن يكتب وصلاً للصحفي بكامل المبلغ ، لأنه لم يكن سيقبل المبلغ إلا إذا كان ديناً عليه يسدده بعد أن يعود إلى الوطن .

****

9-شهادة أخيرة لم يدلُ بها الصحفي:

كان الصحفي يعرف أن المُخْبِر لن يقوم بكتابة تقرير يصف الواقع بما يرضي الضمير ، ولذا فإنه من خلال علاقته بالمسئولين في بلده قام بالاتصال بهم ، وأخبرهم بواقع الطالب وبراءته ،وأعلموه أنه إذا كان الطالب بريئاً فعلاً عليه أن يعود إلى بلده فور تخرجه .
كان الصحفي في وداع الطالب عند سفره ، ولم يقل له شيئاً عما جرى مع المُخْبِر ، ولكنه زودّه ببعض الأرقام لأصدقائه المتنفذين الذين سيساعدونه لو

احتاج إلى مساعدة أو تعرض لأي متاعب استغرب الطالب ذلك. وقال أي متاعب وأنا لم أبدأ حياتي بعد !

****

حين ركب الطالب الطائرة قرأ آيات من القرآن ، وتمتم أي متاعب تلك التي تحدث الصحفي عنها !؟.

حينما حطت الطائرة في أرض المطار ، رأى وجوها يألفها ، وكان على سلم الطائرة .... ذلك الضيف الذي التقاه مع الصحفي في العشاء وأسرع مبتهجاً مادًّا يده ليسلم عليه ، ولكنه فوجئ ببرودة سلامه ، وهو يقول له هيا اتبعني.....!

(ابريل 2004)

الحاجّة هَنِيّة

الحاجّة هَنِيّة

الحاجّة هَنِيّة ، هذا هو الاسم الذي عُرِفتْ به .

لم يكن أهل الحي يعرفون أن هذا لقبها وهو ليس اسمها. إذ جاءها في مرحلة متأخرة من عمرها ، فهي مثلنا تعيش مع الأسماء التي ولدنا معها. نعم وُلِدنا معها . لأنها في أحيان كثيرة تكون أسماء عفو الخاطر ، ولا تحضر لأذهان الوالدين إلا عند الولادة.

وإذا كان البعض يُجهّز أسماء أطفاله ما قبل الولادة ، بل وأحياناً قبل الزواج. إلا أن اسم " الحاجّة هَنِيّة " هو اسمٌ لم تعرفه إلا بعد أن اقتربت من الخمسين عاماً.. واسمها قد يستغرب البعض أنه مَرّ بعدة مراحل تم تغييره والتعرف على شخصيتها عبر مراحل مختلفة.

لقد كانت فاطمة ، وأصبحت إليزابيث يدلعونها ليزا ، ثم ها هي تعرف بالحاجّة هَنِيّة .

ما هي حكايتها إذن ؟ كيف تتقلب هذه الأسماء وتتغير وهي لشخص واحد؟.

***

هل نبدأ القصة من أولها أو من خاتمتها ؟

***

انتظرت الحاجّة هَنِيّة عشرين عاماً حتى تحصل على الهوية الفلسطينية. الإذن الرسمي من جيش الاحتلال للبقاء في وطنها ، وكانت بعد عودتها من بلاد الغُربة تراجع السلطات بمعدل مرتين في الأسبوع ، وبعد أن زهقت أصبحت تراجع مرة في الأسبوع ، وبعد ذلك مرة في الشهر ، ثم مرة في السنة . حتى أنها نسيت الأمر تماماً بعد عيد ميلادها الستين وقالت ما حاجتي للهوية

في هذا العمر ما دُمتُ أُقيمُ في بيتي الذي وُلِدتُ فيه ، وأعيش بين أهلي في وطني ولن أغادره.

***

كانت هوية الحاجّة هَنِيّة قصة تُروى . تمثل سخرية القدر والظلم ، بمقدار ما تمثل إرادة الارتباط بالوطن. والجميع من أهل " البيرة " يتحدث عن هوية الحاجّة هَنِيّة التي لم تحصل عليها في حياتها ، ولكنها لحقتها إلى المقبرة بعد موتها.

***

كانت الحاجّة هَنِيّة مثلها مثل العديد من أبناء وبنات منطقة البيرة ورام الله الذين التحقوا بآبائهم المهاجرين إلى أمريكا في نهاية الخمسينات ومطلع الستينات من القرن العشرين ، بعد أن أَكملتْ الإعدادية غادَرَتْ البيرة هي وأمها وأخوتها الصغار إلى أمريكا . هناك أقاموا مع والدهم في منطقة فرجينيا حيث يعمل أبوها ، واستطاع بعرقه أن يفتتح مطعماً يعاونه فيه معظم أفراد الأسرة. واستطاعت الأسرة بمن فيهم هَنِيّة أن ينجحوا ، أما هَنِيّة التي قدمت مع اسمها الأصلي فاطمة فقد دخلت المدرسة الحكومية ، وعانت في البداية من التفرقة بسبب لغتها الركيكة في الإنجليزية ولكنتها وسحنتها الشرق أوسطية كما يقولون عنها واسمها الغريب. وبعد فترة أصبحت تعرف باسم ليزا ، وخلال ثلاث سنوات أمضتها في المدرسة استطاعت أن تتقن لغة الحديث باللكنة الأمريكية ، وأصبحت باسمها الجديد ليزا أقل استهجاناً لدى زملائها بل وانخرطت في الحياة العملية دونما ازعاجات تُذكَر.

***

كانت ليزا فتاة جميلة شعرها أسود ناعم ينسدل على كتفيها ، وطولها فارع كالرمح ، وعيناها بنيتان يشعّان ذكاء ، حينما انخرطت في الحياة العلمية كانت تعمل في مساعدة أبيها وأمها ، ولكنها في الوقت ذاته درست في كلية مجتمع ثم أكملت درجة البكالوريوس في الاجتماع.

وتزوجت شاباً من بلدتها على الطريقة التقليدية . عاشت معه حياة هَنِيّة وكانت تقول لأصحابها أنها ياسينة بالزواج. رُزِقت بفتاة واحدة ، وكان زوجها يمتلك بقالة عربية. عملت بشهادتها لفترة محدودة ، ولكنها انتقلت لتساعده. لم تكن لها مطالب كثيرة . هَمُّها يتلخص دوماً بطلب واحد أن تزور بلدتها في كل صيف. ولم يكن ذلك أمراً صعباً .

كان ارتباطها ببلدتها لا يعدله شيء. وكانت تحرص دوماً على أن تحضر طفلتها معها ، وكانت تقول لأقاربها وصديقاتها في المهجر والوطن: أنها بذلك تصيد عِدّة عصافير بحجر ، فهي أولاً تتيح لابنتها أن تتعرف على الأقارب وترتبط بهم ، وتشعر بالانتماء للوطن ، وأنها تتعلم اللغة العربية ، ويمكن أن تقابل ابن الحلال ، وأخيراً كانت هي نفسها تستمتع بإجازة بين الأهل والصديقات بعيداً عن حضارة "الهاي واي High way".

استمرت زياراتها للوطن قبل الاحتلال وبعده. ازدادت رغبتها بعد الاحتلال في أن تعيش فيه ، وأصبحت تزور الوطن أربع مرات في السنة ، وضغطت على زوجها كي يشتريا عمارة وأرضاً ، وكان لها في كل عام مشروع شراء قطعة أرض جديدة أو غير ذلك . كانت تقول: أنها لا ترى العيش الهنيء إلا في حضن الوطن .

كانت ترى أنَّ عليهم كأسرة أن يجهزوا أنفسهم للعودة إلى الوطن ويعيشوا فيه مرتاحين. حَرِصتْ على أن يكون لهم استثماراً مجزياً حين يعودون. فبنتْ

أكثر من عمارة ، وقامت بتأجيرها . كانت تقول أمريكا بلد مثل "الهاي واي High way" لا تستطيع التوقف فيه ، عليك أن تسرع دائماً ، و كانت ترغب في أن تعيش عيشة هَنِيّة كما كانت تقول دوماً.

كان أكثر ما يلفت من يتحدث معها أنها تستخدم كلمة هَنِيّة بشكل لافت للنظر ، بنفس الطريقة التي يستخدم الناس كلمات محددة في حديثهم مثل ok أو افهمني ، أو لا تؤاخذني .... الخ ، أما هي فكانت حين يسألها الناس كيف الحال ؟ كانت تجيب: I am ok الحمد لله الحالة هَنِيّة . وأصبح الناس يقولون عنها جاءت الهَنِيّة ، وزارتنا الهَنِيّة .

***

لم تكن هناك أي مقدمات لمرض زوجها خليل (وهذا هو اسمه) كان يمتلئ نشاطاً وحيوية ، يقضي أسبوعه كاملاً في العمل ، ولم تكن له نشاطات اجتماعية إلا في أضيق الحدود تلك التي ترتبط بالمناسبات الاجتماعية أو أحياناً السياسية المرتبطة بالوطن .

وكان يتبرع في أضيق الحدود للنشاطات السياسية ، أما زوجته فكانت تجادله دوماً في قلة المبالغ التي يتبرع فيها وكانت تقول له:

" أمورنا المالية ممتازة ، وحياتنا هَنِيّة ، وليس لنا سوى ابنة واحدة لماذا لا تدفع أكثر ؟؟

لكنها كانت حريصة على التبرع ودفع الزكاة ، وتقول : ما نتبرع فيه يدفع البلاء عنّا.

لم تتخيل أن خليلاً سوف يتركها بهذه السرعة ، وكلاهما في منتصف العمر ، وابنتها لم تكمل دراستها الثانوية بعد.

مات خليل إذْ جاءته الجلطة حادة ، ولم تسعفه محاولات الأطباء لإنقاذه ، وتركها لتكمل حياته مع ابنتها ، صحيح أن والدها وأخوتها وقفوا بجانبها ، لكن في نهاية الأمر كان عليها أن تتابع المسيرة دونهم ، لأن كل واحد منهم لديه أعماله وعائلته ومسؤولياته.

في هذه الأثناء تقدم لخطبتها العديد ممن رغبوا فيها ، إما لجمالها ، أو لمالها ، أو لشخصيتها. و قالت لها والدتها : إنّ العمر يجري . وألحّتْ عليها قبول الزواج من شخص يمتلك المال والمركز والعمر المناسب .

رَفضتْ بإلحاح وهي تقول : عيشتي يا أمي هكذا هَنِيّة ، لماذا أوجع راسي بحياة جديدة ، لا أدري كيف تقودني ؟ وإلى أي مصير ستودي بابنتي ؟.

كانت عنيدة ، وما تقتنع به يجعلها من الصعب أن تتنازل عنه. أصرت على عدم الزواج ، وأوفت بكلمتها أنها لن تتزوج حتى لو كانت ستعيش وحيدة .

استمرت في إدارة البقالة ، وكانت ابنتها تساعدها أحياناً ، وأحضرت أحد أقاربها ليساعدها في العمل . واستمرت هكذا لسنوات حتى أكملت ابنتها دراستها ، وتزوجت شاباً من أقاربها.

وواظبت على زيارة الوطن بشكل منتظم ، إلى أن قررت أن تعود للاستقرار نهائياً في البيرة ، ولم تستطع اعتراضات أهلها أن تثنيها عن عزمها ، وكانت ترى أن أبناء شعبها يحتاجون إلى أن تكون بينهم ، وتساعدهم قدر الإمكان في ظروف الاحتلال.

حينما عادت انشغلت مع الجمعيات الخيرية وكانت فعالة في العمل مع " جمعية إنعاش الأسرة " ، وأخذ دورها شيئاً فشيئاً ينحصر في مجال العناية بأسر الشهداء والأسرى. كان هذا الأمر مقلقاً لقوات الاحتلال ولذا لم يكن لديها وقت تقضيه لحياتها الخاصة ، وأكثر من مرة تم استدعاؤها من قبل

جيش الاحتلال وحققوا معها ، ولكن ذلك لم يثنيها عن الاستمرار بدورها الإنساني.

في الانتفاضة الأولى لعبت دوراً هاماً في التنسيق بين الخلايا وتوصيل الرسائل بينها. وكثيراً ما كانت تساعد المطلوبين في الاختباء عن أعين المحتلين وجواسيسهم ، وبعد اتفاقية أوسلو شعرت بالفرحة وهي ترى العائدين إلى الوطن ، وشعرت بالفرحة أكبر حينما رأت عرفات الرمز الفلسطيني يدخل فلسطين .

كانت تقول إنها تشعر بإحساس متناقض : الاحساس بالفرحة وهي ترى جزءاً من أبناء شعبها المحرومين من دخول فلسطين يعودون إلى وطنهم ، ولكنها في الوقت ذاته شعرت بان هذه العودة كانت على حساب جزء من الوطن الذي طالما حلمت بوحدته من النهر إلى البحر. وكانت تقول سلطة وطنية بنصف احتلال أفضل من احتلال كامل.

استمرت في المحاولة كي تحصل على هويتها ولكن ظلت المماطلات مستمرة. كانت تقول : إنها لا حاجّة للهوية لو كانت ستضمن بأنها حينما تخرج لزيارة ابنتها يمكنها أن تعود إلى وطنها دون عوائق. ولذا فإنها لن تجازف بالخروج قبل أن تحصل على الهوية ، وأصبحت تستعيض عن ذلك بقيام ابنتها وأهلها بزيارتهم لها سنوياً. كان هذا الأمر يعطيها دفعة معنوية ، تعيش بها إلى أن يحضروا في العام القادم.

***

في يوم من أواخر شهر أيلول عام 2000 كان ذلك اليوم يوماً مشهوداً عُرِف بانتفاضة الأقصى ، يوم قرر فيه شارون زيارة المسجد الأقصى . وبعدها اشتعلت الضفة والقطاع ، ومعها تتابعت الأحداث ونقلت الفضائيات صورة

استشهاد الطفل محمد الدُرّة. واشتعلت صور تضامن الرأي العام العالمي والعربي مع الانتفاضة. وشاهد العالم أشكال العنف الإسرائيلي. وكيف يعاني الفلسطينيون في أرضهم . إذْ تحول الحواجز الإسرائيلية على الطرق دون انتقال الفرد من منزله إلى عمله ، وتحول دون وصول المرأة الحامل للوصول إلى المستشفى .

كانت الحاجّة هَنِيّة حريصة على زيارة الأقصى كل يوم جمعة ، وكانت لا تتخلف عن صلاة الجمعة فيه مهما كانت الظروف . وفي تلك الجمعة التي اشتعلت فيه احتجاجات المصلين . كانت بينهم تهتف ضد الاحتلال وضد الظلم الذي يشعر بمرارته كل من عاش على أرض فلسطين في ظل الاحتلال الإسرائيلي.

***

كانت تستقبل في بيتها أولئك الأجانب الذين يتعاطفون مع الفلسطينيين في محنتهم ، وكثيراً ما استضافت في بيتها لأسابيع الناشطين والناشطات من الأوروبيين والأميركيين الذين يحضرون للدفاع عن حقوق الفلسطينيين. كان يساعدها في ذلك إجادتها باللغة الإنجليزية ، وكانت ثقافتها تجعل الحوار سهلاً معهم ، وكانت خبرتها في الحياة في أمريكا قد جعلت علاقتها بهم أساسها الصراحة والانفتاح وحرية التعبير.

كانت من أقسى اللحظات عليها تلك الصورة التي شاهدتها لاستشهاد الطفل محمد الدُرّة. عملت جهدها أثناء الانتفاضة على أن تواسي أسر الجرحى والمعتقلين ، وكانت تجمع ما أمكنهما من المساعدات من البيوت لتقوم بتوزيعه عليهم. كان حصار مخيم جنين ومشاهد التدمير الذي حصل في المخيم من المشاهد التي ضاعفت معاناتها.

***

سرعان ما امتدَّ اشتعال فتيل الانتفاضة الثانية. كانت تسير مع إحدى المظاهرات حيث انطلقت رصاصات الاحتلال وقنابله المسيلة للدموع من أكثر من جهة لتواجه المتظاهرين . كانت رصاصة قد أصابت إحدى الفتيات فانطلقت الحاجّة هَنِيّة إليها لتساعدها ، وما أن انحنت عليها لتحملها إذ أصابتها رصاصة. ولم تستطع أن تقف ، كانت قد تكومت فوق الفتاة وانطلقت منها آهة من الأعماق.

غامرت سيارة إسعاف في الوصول إليها لتنقلها هي والفتاة .

كان مستشفى رام الله يعج بالمصابين وكانت الحاجّة هَنِيّة أحدهم.

سبتمبر 2007

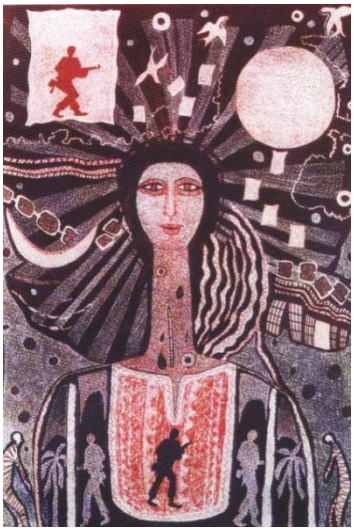

دعوة عشاء

Dine in the DARK!

A unique dining experience. The dining is in complete darkness, and the food is served by visually-impaired people. Highly-Recommended for a one-of-a-kind experience.

دعوة عشاء

1 – الهدية

وصلني بالبريد طرد خفيف الوزن ، وما أنْ رأته ابنتي حتى أسرعت طالبة مني أنْ أفتحه لعله يكون هدية تكون مناسبة لها . ولم أكن أتوقع هدية من أحد ، ولكنني ما أن رأيت اسم المرسل الموقع باسم السواد Le Noir حتى عرفت أنه من المطعم الذي زرناه في الأسبوع الماضي .

كان الطرد يشتمل على رسالة واستبانة ودعوة لشخصين لحفل عشاء وميدالية مفاتيح تحمل شعار المطعم .

في الرسالة نقرأ ما يلي :

" عزيزي ...

كان حضورك مع ضيوفك شرف لنا ، أثناء تناولكم للطعام لفت انتباهنا التزامكم الصمت ، كنا نتوقع نحن أصحاب المطعم أن تكون تجربتكم مريحة وتقترب من تجربتنا نحن ، صمتكم أشعرنا بأنكم عشتم تجربة يكتنفها الوجل والقلق ... ولأننا حريصون على راحة زبائننا فإننا نرسل لك دعوة عشاء على حسابنا ، آملين أن تتخطى تجربتكم حدود التجربة الأولى . آملين ملء الاستبانة المرفقة ، وتأكيد حضوركم لنكون في استقبالكم ، مع تحياتنا "

... انتهت الرسالة ....

قرأت ابنتي الرسالة وأعطيتها الميدالية ، وقلت لها هذه هديتك .

وسألتني ابنتي :

-ما الذي جعل تجربتكم في هذا المطعم تستثير إدارته إلى درجة أنهم يرسلون دعوة كهذه ورسالة أشبه بالاعتذار ؟

فأي تجربة كانت هذه يا أبت ؟

*****

2 – تجربة الدخول إلى المطعم

حينما دفعت بوابة المطعم كانت هناك ساحة تفصل بينه وبيني ، وكان هناك باب آخر ليحول دون تسلسل النور من الشارع داخل المطعم ، كان الباب الثاني الذي ينفتح باتجاه الداخل يقود إلى صالة صغيرة للانتظار مضاءة فقط بثلاث شموع بالكاد تظهر للداخل ملامح المكان حيث توجد مضيفة تقود الزبائن إلى طاولاتهم .

بادرتنا قائلة : ها هل أنتم مستعدون لخوض غمار التجربة ، في الداخل ستكونون في مكان يخيم فيه ظلام دامس ، أنتم ستعيشون تجربة في المطعم مثل تلك التي يعيشها العميان في كل لحظة . ثم طلبت منا أن نسير وراءها أشبه بالقاطرة كل واحد منا يمسك بحزام الآخر أو يضع يده على كتف من يقف أمامه ، وطلبت مني أضع يدي على كتفها كي تقودنا إلى الطاولة المحجوزة لنا .

فتحت الباب وكان هناك أيضاً مساحة فاصلة تفصل بين صالة الاستراحة وبين قاعة الطعام ، وما أن دخلنا تلك المساحة حتى تلاشى الضوء المنبعث من الشمعات وفتح باب آخر يوصلنا إلى قاعة الطعام ،وكان الظلام دامساً ، وانبثقت من بعضنا همهمات وكلام وضحكات قصيرة وإحساس بالرهبة... وقلت يا لها من تجربة !

كان علينا أن نحاذر ونبقى نتبع خطوات المضيفة التي كانت تقودنا إلى طاولتنا وطلبت منا أن نمد أيادينا لنحاذر الاصطدام بأي شيء ، أو شخص أو طاولة أو كرسي أثناء تحركنا باتجاه الطاولة التي وصلناها ونحن نسير بحذر شديد .

وبدأنا بالجلوس ونحن نتحسس سبيلنا للوصول إلى الطاولة ، وأخذ كل واحد منا مقعده ، وجلسنا حول طاولة مستديرة... وقلت ها نحن وصلنا بسلام إلى طاولتنا .

****

3 - الطعام

بدأنا نتحسس أمامنا ، كان هناك طبق وملعقة وشوكة وسكين وفوطة وكأس فارغ . بدأنا بالإحساس بهيبة المكان في ظل ظلام دامس يحول دون المشاهدة. وكان علينا أن نركز في تجربتنا على حاستي اللمس والسمع ، جاء النادل إلينا ليعرض لنا القائمة التي يقدمونها .

بالنسبة لي ، تحاشيت أن أتناول الحساء أو أي نوع من الطعام الذي فيه أنواع من المرق ... أعترف كان هروباً من خوض التجربة الكاملة . طلب كل واحد من وجبته . وكان أحدنا أكثرنا حماسة لخوض التجربة كاملة طلب الحساء بالإضافة إلى وجبة المطعم الخاصة التي تتضمن ثلاثة أطباق بما فيها الحلوى.

جاء النادل وقدّم لكل واحد الشراب الذي طلبه ، معظمنا طلب الماء ، وأعترف- مرة أخرى - بأن بعضنا كان يحب ألوانا مختلفة من العصير أو المياه الغازية ولكنه كان واضحاً أننا جميعاً آثارنا السلامة خشية أن يندلق أي من المشروب على ملابسنا الأنيقة .

حين بدأنا نأكل طعامنا كان الصمت ولا شيء غيره يلف طاولتنا ، ولم تكن تجربة استخدام الشوكة والسكين بمجدية لنا ونحن لا نستطيع تحديد حجم اللقمة التي نقطعها ، ولست أذكر من قال الأكل بالأيدي أجدى ...

كان الصمت يسود الطاولة وبالكاد نسمع صوت استخدام السكاكين والشوك في الطاولات الأخرى ، ويبدو لي أن الجميع كان يستخدم يديه في تناول الطعام ، ولا حرج في ذلك ... لا أحد يرى ما يفعله الآخرون ...

*****

4 - التجربة

وأنا على طاولة الطعام أَحسَسْتُ بأي نعمة حباها الله لنا نحن البشر ونحن نستمتع برؤية الأشياء مما يجلعنا نعرف ونختار حينما نريد أن نتذوق الطعام.

كنا لا نعرف ما هو نوع الطعام الذي تلتقطه أصابعنا إلا بعد أن يصبح في أفواهنا ... وتخيل كيف يمكن أن تكتشف أن وما وضعته في فمك هو نوع من الخضار التي لا تحبها أبداً ؟

تخيلت وأنا في لجّة الظلام كيف يمكن لحياة البشر لو غمرها الظلام الدامس أن تكون لا شمس لا كهرباء لا شموع في حياتنا ... ولو لمدة أسبوع لا بل ليومين لا بل ليوم واحد كامل.. كيف سنتحرك ...كيف سنستشعر جمال الأشياء وألوانها ؟

لا قراءة ... لا ألعاب ... لا تلفزيون .. لا كمبيوتر ...

كيف يمكن أن نتصرف ؟

لا حاجّة لي لأن أغمض عيني فأنا أحلم بالصورة التي يمكن أن تكون .

هاهم الأطفال يتصايحون ... ويتنقلون بدون حذر ويكسرون أطباقاً وزهريات ... والأب يصرخ في أبنائه ويهددهم بالضرب ... والأم تتأفف وتتحسر وتدعو الله أن ينير الكون والدرب والبيت .والكل يعاني من لحظات الاحتباس ، رحمك الله يا أبا العلاء يا رهين المحبسين .

أنتم أيها العميان عليكم السلام ... كيف تتحركون وتأكلون وتقرأون وتبدعون ... لا ندرك قدراتكم ومعاناتكم .

5 – الاستجابة للدعوة

سألتني ابنتي : هل ستستجيب للدعوة وتكرر التجربة ثانية ؟

لم أجب على سؤالها .

ولكن ابنتي قالت : أبت أريد أن أذهب معك .

***

عمّان 2008/10/18

كَشْفُ حساب

كَشْفُ حساب

مع ارتفاع حِدّة الحرارة ، كانت الشمس تبدو وكأنها عالقة في منتصف السماء لا تريم ... كانت الغرفة التي بها مكتبي تطل على الجهة الغربية ، وفي مواجهتها يبدو منظر المدينة وكأنها كومة من صناديق اسمنتية مختلفة الأحجام. كانت الحرارة مرتفعة وشهر آب تختلط فيه الحرارة والرطوبة لتجعل أي غرفة بدون تبريد مناسب وكأنها قطعة من الجحيم.

حينما جاءني أبو العبد بكأس من العصير ... قال وهو يبتسم:

-سيدي جئتك بكأس عصير يطفئ ظمأك.

شكرته وأنا أعرف كم من النفاق يحمل في جوفه ويغطيه بابتساماته وخدماته التي لا يحين أوانها إلا حينما يرغب في تلبية طلب له أو التمهيد بطلب جديد.

هاهي الحرارة تعصف بقوة الجسد ، ولكن الروح ما زالت متوثبة... والذاكرة تجول مع التواريخ والشخصيات والآراء والأماكن . هاهي الذاكرة تنداح وكأنها قرص حاسوب أعيد تشغيله ليستذكر معلوماته.

وأنا أسرح مع الذاكرة رجع أبو العبد إلي ، وكأنه أراد أن يقطع ذاكرتي بمقصه المثلم ، وهو يقول:

- سيدي سوف يكون المكيف جاهزاً خلال ساعة ... (ساعة قلت في نفسي كافية لتغيير وجه العالم) امبراطوريات سقطت وحوائط انهارت ... لتخلق عوالم جديدة لا يعرف أحد ماذا ستكون آفاقها ... وهاهو أبو العبد يقول إن المكيف سيكون جاهزاً بعد ساعة.

***

حينما ارتشفت فنجان القهوة كانت أمامي جريدة الصباح وترددت في قراءتها ... كل يوم يأتيني الموظف المختص بعرض لقصاصات الصحف وأهم ما جاء

فيها ... وأول القصاصات تكون دوماً تلك التي تتحدث عن السيد (س) أي عني . وكان هذا يستهويني ، وكنت أتضايق إذا ما مر يوم دون أن يكون اسمي في صحيفة ما ... وأتضايق أكثر إذا ما خلت الصحيفة من صورة مناسبة لي .

واليوم أحدّق في النتيجة أمامي ..... ياه ربع قرن في الوظيفة العامة ...بدأتها كاتباً صغيراً ... له عذابات الموظف الذي همّه أن يعيش يومه مستوراً في بيته ، ومستوراً مع مسئوليه.

ها أنا أتذكر ذلك اليوم الذي فيه انفتح أمامي باب الحظ فجأة . حينما طلب المسئول من مدير مكتبه أن يعد له خطاباً ليلقيه أمام رأس الدولة في زيارته المرتقبة ، فقام بإعداد خطاب لكنّه لم يعجبه .... وتذكر أن لي محاولات أدبية وكان يقرأ اسمي بين الفينة والأخرى في الصفحات الأدبية ، وصفحات الرأي وكثيراً ما كان يستدعيني ليناقشني فيما أكتب ، وها قد استدعاني وألقى بين يدي أوراق الخطاب الذي أعدّه مدير مكتبه وقال لي: اقرأ هذا وهات رأيك ! قرأته وأمسكت القلم وأخذت أضع خطوطاً ، ثم أصحح بعض ما جاء فيه من أخطاء لغوية وتعبيرية.

ثم قال لي : ها ما رأيك بما قرأت ؟ ثم تابع دون أن ينتظر مني رداً ، أظنك فهمت جوهر الخطاب ! أريدك أن تعدّ لي كلمة لألقيها في حضور ضيفنا الكبير.

كانت بالنسبة لي فرصة كبيرة إذ كتبت كلمة مؤثرة من حيث الشكل والمضمون ... وأعجبت مديري وحينما ألقاها بين يدي الضيف ..... نالت إعجابه والتصفيق من الحضور.

كنت أدرك أن معظم المسئولين يعجبهم دوماً أمرين: أولهما أن تقال لهم بعض الحقيقة وليس الحقيقة كلها ، وثانيهما أن تداعب فيهم مكامن الغرور ، ويفضلون أن يكون ذلك مدحاً غير مباشر والأفضل أن يكون مدحاً يأتي من خلال المقارنة بينهم وبين سابقيهم.

وأدرك جميع الزملاء في العمل أن ذلك اللقاء سيفتح أمام مديرنا باب السعد ، وها هو المدير يلقى العناية بعد هذه الزيارة وجاءته الفرصة ليصبح وزيراً ، ولم

أكن أتوقع أن يكون لذلك الخطاب الذي أعددته ذلك المفعول السحري .... إذ يقرر الوزير أن أنتقل معه في وزارته.
وظللت معه أكتب له خطاباته ، وبقربي منه استطعت أن أتعرف على المتنفذين في الدولة وأن أتبوأ منصباً عالياً ، وها أنا أنعم بمزاياه.

***

ها أنا اعترف.... لم تكن نجاحاتي وليدة إنجازاتي لا الفكرية ولا العملية ولا الإدارية ، منذ انتقلت مع الوزير أصبحت دوائر علاقاتي تتشابك وتتسع لتشمل من يُسمون بصناع القرار من رئيس الوزراء إلى أصحاب الدولة والمعالي السابقين ، وإلى من يملكون التأثير في القرار.
ها هي النعمة التي أرفل بها في كشف حساب مختصر: فيلا في منطقة راقية ثلاث سيارات غير السيارة الحكومية ، رصيد حساب محلي ، ورصيد حساب خارجي لا يعرف عنه أحد حتى زوجتي ، ورصيد علاقات بها أدخل إلى أي دائرة حكومية أسهل فيها معاملات من يلجأ إليّ وهم أحد الأنواع التالية :
نوع من الناس البسطاء لهم حقوق يحتاجون إلى من يساعدهم ليحصلوا عليها ،
ونوع آخر من الناس المستثمرين أو رجال الأعمال لهم مصالح وحقوق ولكنهم يريدون أن يختصروا السبيل إلى تحصيلها فيلجأون إليّ لمساعدتهم ،
وآخرون لا حق لهم ولكنهم يريدون الحصول على منافع بالاستعانة بي .....
أعترف أنني ساعدت الأنواع الثلاثة ، وقد نتساءل لماذا كان ذلك ....؟
وأعترف مرة أخرى أنني كنت أحقق فوائد من الجميع ، الفئة الأولى كانت تدعو لي وتؤكد للعامة أنني من أهل الخير ، لا أطلب لقاء مساعدة الناس "الغلابى " شيئاً بل أصبحوا يعتبرونني نصير المظلومين ، أما النوعان الآخران فقد تلقيت منهم ثمن ذلك بطرق مختلفة أحياناً هدايا مباشرة ، وأحياناً أخرى تكون الخدمة توصلني بمسئول نافذ له علاقة قرابة أو مصلحة معهم.
كل ذلك حصل معي وأنا الآن أجلس في مكتبي ، وأشرب القهوة الخاصة التي أعدها أبو العبد ، ويمر شريط حياتي شريطاً سريعاً طفولتنا الفقيرة ، أصدقاء

الحارة في القريةالتي كان ينقصها كل مواصفات الحياة العصرية (الماء النظيف ، الكهرباء والمجاري)... حتى المدرسة التي كنا نذهب إليها كانت تستدعي منا أن نسير على الأقدام نحو (5كم- خمسة كيلو مترات) يومياً إلى القرية المجاورة في جميع الظروف الجوية.
وحينما دخلنا الجامعة ، أصبحت لنا أحلام تنظر إلى تغيير الواقع بأحلام كبيرة تتجاوز الهم الشخصي والوطني إلى الهم القومي ، وحلمنا بالعدل الاجتماعي وبالوحدة العربية وبتحرير فلسطين .... وتظاهرنا من أجل ذلك كله وكتبنا عن تلك القضايا.... ومن متابعاتي للمشهد السياسي رأيت كيف أن العديد ممن حسبناهم معارضة... يصبحون مسئولين في مواقع كبيرة. وأعترف أنني أدركت أن النقد القاسي للحكومة يقود في أحيان كثيرة إلى مواقع مسئولية كبيرة ، ولعبت هذه اللعبة بطريقة محسوبة... وها أنا الآن أنظر في ما هو عليه حالي ؟ بماذا يمكن أن أعترف أكثر من ذلك ....؟ وعمري لم يتجاوز الخمسين عاماً بعد ...! هل هناك طموحات يمكن أن تقيدها حدود ؟ الوظيفة — الأسرة — الأبناء- العلاقات مع الآخرين.

***

رنّ الهاتف ، كانت زوجتي على الطرف الآخر ، تبكي بحرقة لتعلمني أنها تتألم لأن زوجة مسئول آخر سليلة حسب ونسب تعايرها لأنها لا تعرف كيف تسرح شعرها ، حسب الموضة الباريسية ، أغلقت الهاتف في وجهها وأنا أصرخ بها "أنا مش فاضيلك ومش فاضي للاشياء الفاضية....

***

ورن الهاتف ، كان على الطرف الآخر ، شخص مهم ، قال لي بعض الكلمات المبطنة.... وطلب مني أن أقدم لأحد أقربائه خدمة.... قلت له إنّ ما يطلبه خارج عن القانون ، ولكنه أشار إلى معرفته بحسابي السري في الخارج .... قلت له تكرم فقط هذا من أجلك أنت فحسب ، واستجبت لطلبه.....

***

حينما جاء أبو العبد مرة أخرى ليشغل المكيف بعد إصلاحه طلبت منه إحضار الأدوية الشهرية التي أتناولها ، دواء الضغط ، دواء السكري ، ودواء الأرق ....

عمّان

2010/11/23

الميـراث

الميراث

كان الجو رائعاً و كانت الشمس مشرقة على غير عادتها في شهر كانون ، حينما علم الحاج ياسربنبأ ميلاد ابنه البكر ، اجتاحته سعادة غامرة ، ولم يكن ينتظر أكثر من ذلك ، فعلى عادة أهل قريته فإن الولد هو السند ، وهو الذي يحمل اسم أبيه ويبقى اسم العائلة. غمرت الأفراح بيت الحاج ياسر وخصوصاً أنه جاء بعد ثلاث بنات ، ولم يمر وقت طويل حيث رُزِقَ الحاج ياسر بطفل آخر ، لم يلق الاستقبال الذي لقيه الابن الأول ولكنه لقي الترحيب والفرحة التي يستقبلها أي مولود ذكر في القرية.

كان الحاج ياسر مختار القرية وكان يمتلك أراضي كثيرة ورثها عن العائلة ، كما ورث المخترة عن والده التي سيورثها ضمن ما ورثه للأبن من بعده. ورغب المختار في أن يكون ابنه الأكبر صلاح مختاراً من بعده ، كان صلاح منذ طفولته لا يغادر مجلس أبيه ، أما أخوه الأصغر ياسين ، وكان هذا اسمه فقد كان أكثر ابتعاداً عن مجلس والده لا يحضره إلا إذا أصر والده عليه ، ويفضل عليه أن يكون مع أقرانه وحينما أنهيا دراستهما في القرية انتقلا إلى المدينة ليكملا دراستهما الجامعية هناك ، حيث استأجر لهما والدها غرفة يسكنان فيها ، وكان دائم الزيارة لهما.

نشأ كل واحد منهما وله اهتمامات تختلف عن الآخر ؛ كان صلاح مهتماً بالرياضة ، وكان ياسين مهتماً اهتماماً كبيراً بأمور الدين. وأصبح معروفاً لدى أصحابه بالشيخ ياسين ، وأنهى صلاح دراسته للقانون ، وأما أخوه الأصغر فكان مصيره قد تحدد في المدرسة فقرر أن يكون شيخاً فالتحق بكلية

الشريعة ، لم يتدخل المختار في مصير ولديه الدراسي ، ولكنه كان حريصاً على أن يكونا سنداً له ولبعضهما في القرية.
وحينما ابتدأ العمران يغزو أطراف المدينة ويقضم من قرى الريف شيئاً فشيئاً لتلتحق بضواحي المدينة ، كانت قريتهم ما زالت في منأى ولكن غير بعيد عن ذلك ، كانت أراضيهم تقع في أطراف القرية تفصل بينها وبين المدينة ، ولذا كانت هي المؤهلة أكثر عن غيرها للالتحاق بضواحي المدينة.
لم يكن المختار بعيداً عن متابعة ما يجري ، وخصوصاً أن التهمت العمارات والدارات أراضي قرى كثيرة ، وأصبح لدى أهالي القرى رغبة في بيع الأراضي لتحسين أوضاعهم المالية .
نشأ صلاح بين رجالات القرية الذين يرون أن الأرض لا يمكن التفريط فها ، ولا يمكن بيعها ، أما الشيخ ياسين فكان يرى أن الله أعطانا الأرض لنفيد منها زراعة وبناء ، بيعاً وشراء ، وذلك شرع الله وما دامت الأرض له ليس هناك ما يمنع من بيعها ، أو إقامة أي مشروع عليها بالاشتراك مع الآخرين ، أو المبادلة فيها إذا استدعت الحاجّة إلى ذلك.
حينما جاء سمسار إلى القرية توجه فوراً إلى بيت المختار ،وكان يعرف أن مفتاح القرية بل مفتاح أراضيها يكمن لدى المختار. طرح السمسار على المختار فكرة بيع جزء من أرضه ، والذي لن يؤثر على ما يمتلكه ، ومما سيوفر له ولأبنائه سيولة نقدية تجعلهم يعيشون في البحبوحة من العيش الرغيد.
حضر الجلسة صلاح وياسين مع والدهما . استمع المختار إلى السمسار ولكنه لم يعقب على كلامه .
وحينما سأله السمسار :
-ما تقول يا مختار ؟
نظر المختار إلى عيني ولديه ، ولم يتكلم.
وكرر السمسار :
- ماذا تقول يا مختار ؟

أجابه :
-اسألهما .... فالإجابة عندهما ؟
قال صلاح :
- لا أرض عندنا للبيع !
وأما ياسين : فقال :
- وما هو المشروع المقترح لهذه الأرض ؟
ابتسم السمسار وقال :
-هنا نبدأ بالتفاهم
احتد صلاح وقال :
-لا شيء للتفاهم عليه .... لا أرض لدينا للبيع ... لقد شربت قهوتك ومع السلامة .....!!
استغرب المختار موقف ابنه ياسين ، إذ كان يتوقع منه أن يكون موقفه حاسماً مثل أخيه صلاح ، ولذا فإنه سأله بعد خروج السمسار:
-هل حقاً كنت تريد التفاوض بشأن بيع الأرض ؟
أجابه ياسين ببرود بالغ :
-نعم وماذا في ذلك ؟ الأرض ورثنا إياها الله كي نستفيد منها ، أرضنا لا نفلحها منذ سنوات ، صلاح وأنا لن نعمل فيها ... ما المخالفة الشرعية في أن نبيعها لمن سيستفيد منها ، وسنتذوق بحبوحة العيش بثمنها.

الفقيران والتُفّاحة

الفقيران والثُفّاحة

الفقير الأول

لم تكن طفولتنا تختلف كثيراً عن طفولة أبناء حارتنا ، وكانت أمور الحياة تعبر عنها والدتي (رحمها الله) بالمستورة ، ولم ننم ليلة واحدة بالجوع ، ولم تكن هناك فواكه تدخل السوق لم نتذوقها ، وأما اللحم فكان ضيفاً ليس رئيسياً على وجباتنا. فكانت أمي تتدبر حياتنا بشكل لا نشعر معه بأننا نخسر شيئاً موجوداً عند الآخرين. كانت حياتنا تتسم بالألفة بيننا وبين أبناء الجيران ، ولا شك أن كثيرين كانوا يغبطون حياتنا التي تميزت عن الآخرين بأمور كثيرة منها أن والدي كان يتلقى حوالات شهرية من أبنائه الذين يعملون في الخليج ، وكان بيتنا فيه حديقة يحرص والدي على زراعة الورود فيها ، ولذا كان الجيران يطلبون منا باقات ورد تزين أفراحهم ، إذ لم يكن قد شاع أيامها وجود محلات بيع الأزهار كأيامنا هذه ، وحتى لو كانت موجودة لم يكن بمقدور الناس أن يشتروا تلك الباقات.

وكنا كذلك محظوظين في نوعية الإنارة في البيت ، ولا يتبادر إلى أذهانكم أننا استمتعنا بالكهرباء دون الآخرين ، لا بل كنا جميعاً لا نعرف الكهرباء ولكن كنا نستخدم مصابيح الكاز ، وأما بيتنا فكان فيه ما يعرف باللوكس وهو مصباح إنارة قوي ، لم يكن هذا النوع منتشراً في جميع البيوت ، فالمحظوظون هم الذين يمتلكونه وكنا نحن من هؤلاء ، ولذا كان هذا اللوكس أيضاً مجالاً للإعارة وخصوصاً في مناسبات الأفراح والأتراح.

وكان لدينا مذياع ، نعم مذياع يعمل على بطارية سائلة مثل بطاريات السيارات ، وله أنتين فوق السطح ، وحينما تطورت صناعة المذياع ، وتم اختراع الراديو ذي البطارية الجافة ، كان بيتنا من أوائل البيوت التي اقتنته ، ولذا كان أبي وهو بطبيعته شخصية اجتماعية وكريمة ومتحدثاً لبقاً ، كان ذا

مركز يحسب له حساب في الحارة ، كان إذا شئت يمكنك القول أنه مختار الحارة ووجيهها ، ولذا كان رجال الحارة يجتمعون في المقعد الذي خصصه والدي للضيافة ليستمعوا للأخبار وخصوصاً لأحاديث أحمد ياسين بصوته الجلي من إذاعة صوت العرب ، وفي يوم الجمعة كانوا يلتفون حول المذياع ليسمعوا قراءة مقالة "بصراحة" لمحمد حسنين هيكل التي تنشرها جريدة الأهرام.

وكنت أستمع إلى نقاشاتهم الحامية ، إذ كان بعضهم يرى أن القومية هي الحل ، وآخر ون يرون أن الإسلام هو الحل ، والبعض الآخر يرى أن الأممية هي الحل.

بعيداً عن ذلك كله كنت أستمع إلى أحاديثهم وهم يشربون القهوة السادة التي يقوم والدي بإعدادها بنفسه على كانون النار.

كانت أحاديثهم تنصب على الأسر الفقيرة وكيف يساعدونها دونما إحراج لها ، كانوا يتحدثون عن أسر لا يوجد لديها كساء للشتاء ولا نار للتدفئة ، ولا طعام للعشاء ، وهناك من لم يتذوق طعم الفاكهة ولا يأكل اللحمة في السنة إلا مرات قليلة.

كل ذلك لم يكن بالنسبة لي أمراً يمكن تصوره هلمن المعقول أن يوجد إنسان على هذه الأرض وهو يفتقر إلى هذه الحاجات الأساسية .... هل هناك فقر إلى هذه الدرجة ؟

وذات يوم أدركت فيه معاناة الفقر لدى الآخرين ومعاناة الحرمان لدى البعض ، ما زالت الصورة لما جرى ماثلة أمامي ، وكأنها تحدث الآن ، خرجت من البيت وبيدي تفاحة ، ووقفت مستنداً إلى سور بيتنا ، وفي اللحظة التي رفعت التفاحة إلى فمي ، كانت يد بلمح البصر تخطف التفاحة من يدي ، نظرت إلى من خطفها كان رجلاً في أواسط العمر والتهم التفاحة بثوانٍ وأنا مذهول لما جرى ، كان الرجل زبال الحي ، آنئذ أدركت معنى الفقر ومعنى أن تكون التفاحة رمزاً للحرمان والجوع....

الفقير الثاني :

لم يكن ينقصه شيء يأكل التفاح والفواكه المستوردة ، ويركب سيارة فارهة ، ومرتبه يزيد على مرتب نصف دستة من دكاترة الجامعة... رصيده في البنك كان رقمه كبيراً حينما يمر من أمامه شخص لا يتوانى عن نقده ، ولا يكف عن الشكوى ، وهو شخص مدعي الفهم إذ يرى أنه لا يوجد مثيل له على البسيطة.
يتحاور مع أحد زملائه عن القيم وتظنه حارس القيم الأصيلة.
ماذا كان يعني أن تكون صديقاً له ، ليس هناك من شيء سوى المصلحة ، ولذا كان يزاحم الآخرين على مواقعهم كان يستغل أحد زملائه من رفيعي الشأن صاحب المكانة المرموقة ، والخلق الرفيع الذي يناى عن صغائر الأمور ، ويشعر من داخله بالتزام أدبي وأخلاقي نحو زملائه فلا يتوانى عن مساعدتهم دون أن ينتظر منهم شيئاً.
صعد نجم الفقير الثاني ليس لأنه أفضل زملائه في تخصصه ، ولكنه كان أكثر إلحاحاً وطلباً للمزيد ، حتى لو كان ما سيأخذه هو من حق الآخرين.
تساءلت عما يريده أكثر مما حصل عليه ، هل هناك من نجاح في حقله أكثر مما وصل إليه؟ ولكن التساؤل كان دوماً عن نوع الغنى الذي يبحث عنه ، أي غنى يريد؟ ، كانت معاملاته مع الآخرين فيها تعالٍ ونزق وإدعاء بالمعرفة ، ومن ثم حينما غادر موقعه المتميز كرئيس لإحدى المؤسسات الكبيرة ، غادره وهو غير مأسوف عليه ، ولكنه ظل يعتقد أو يوهم نفسه ويوهم الآخرين بأنه شخص زاهد ، لأنه إنسان لا يطمح إلى شيء.... ولكن هل كانت هذه هي حقيقته ؟؟
تجلى الموقف واضحاً عند اختبار بسيط حدث بينه وبين أحد زملائه ، لم تكن لدى زميله أدنى صورة عن معاني الفقر الروحي والأخلاقي المتلبسة لشخصية الفقير الثاني ، في حديث ودي قام زميله بإبلاغه عن وظيفة تم ترشيحه لها ، وابتدأ الفقير الثاني بالإدعاء بأنه صديقهم ويعرفهم تماماً ، والتقاهم في غير

مناسبة . وظن زميله أن ذلك سيكون لصالحه ، إذ يمكن أن يقوم بدعمه وتعزيزه لديهم ، ولكن ما أن غادر الفقير الثاني مكتب زميله حتى بادر بمهاتفة من ظن أن له علاقه بترشيح زميله لهذا المنصب ، ليعرض نفسه بديلاً عنه لملء الوظيفة ، مدعيا بأنه في مأزق مالي بعد ترك وظيفته ، ومن ثم فهو أجدر بهذه الوظيفة .

وظن الشخص الذي اتصل الفقير الثاني به أنه مسكين وفقير إلى درجة الشفقة والحاجّة للمساعدة ، وتساءل عن دخله الشهري ، وعرف بعد ذلك أن دخل الفقير الثاني الشهري رقم لا يحصله ستة دكاترة جامعيين حديثي التخرج.

ومن ثم قال عنه حقاً يا له من فقير في الروح والضمير.

تعليق آخير :

ما بين الفقير الأول والفقير الثاني تفاحة أحدهما كان له مبرر أن يخطفها ، ولكن مبرر الثاني يحتاج إلى تفسير .

2010/10/5

ثلاث قصص قصيرة جداً

1. الكمبيوتر وأنا
2. الناموسة
3. الهدية

1- الكمبيوتر وأنا

ثلاث الكمبيوتر وأنا

قال لي أبي : أنتَ أصْبحتَ جزءاً من الكمبيوتر.
ابتسمتُ وقلتُ له : هذا عالمي كما أنت يا أبتِ جزءٌ من العالم الخارجي .
قال: اذهبْ واختبرْ حياتك في الفضاء الخارجي .
قلت له : ها أنا أُسافرُ في فضاءات لا نهائية.
دخلتُ إلى صفحتي في الفيس بوك ، وتَصفّحْتُ العديدَ من صفحاتِ الأصدقاء وأصدقاء الأصدقاء ، اطلعتُ على أخبارهم وأحدث ما قاموا بتحميله من صور. تنقلتُ بسرعة ، شعرتُ بالملل ، لم أكتبْ شيئاً على صفحتي ، لم أُعلّق على ما كتبه الأصدقاء . شعرتُ بالملل ، ذهبتُ إلى بريدي الإلكتروني ، وقرأت بعضَ ما وصلني من الرسائل ، لم أردّ عليها وشعرتُ بالملل.
استلمتُ رسالةً من صحيفةٍ إلكترونية ، معها رابط يصلني بموقع إلكتروني لفيديو مثير للاهتمام. نقرت على الموقع ، شاهدتُ الفيديو ، انتقلتُ إلى فيديوهات أخرى جرّتني إلى فيديوهات إباحية. شاهدت بعضها ، وشعرت بالملل ، وأحياناً بالقرف.
قلت لأدخل إلى الصحف اليومية ، استعرضت العناوين مع الأخبار... فساد... محاكمات ... برلمان ... قتل ... كوارث ... شعرت بالملل وبالكثير من الحزن.
تذكرت أن عَليّ أنْ أُقدِّمِ بحثاً ، استعرضت في الجوجل العناوين المرتبطة بالبحث ، هناك وجدت أن مادة البحث الموجودة في الموقع ، يتوفر منها مئات الآلاف من العناوين ، شعرت بالملل وأحسست بأنني أغرق.
انطلقتُ كي أتسلّى إلى لعبة حاسوبية ، دخلت في اللعبة لأتنافس مع لاعبين آخرين من مختلف أنحاء العالم. استغرقت في اللعبة .
دخلت أمي وسألتني :
-هل ترغب في سندويشة ؟

كنت مستغرقاً فلم أسمعها من أول مرة... كَررَتْ سؤالها بصوت أعلى وهي تقول :

-ألم تسمعني ؟ أتريد سندويشة ؟

أجبتها دون أن أفكر:

-لا ، ولحظة سماع كلمة سندويشة شعرت بالجوع.

عُدتُ أُتابع اللعبة . أفوز وأخسر ، وأخسر وأفوز. وشعرت بالراحة.

تابعتُ اللعب ، ثم اكتشفتُ أنني قضيتُ ساعتين مع اللعبة ، وشعرت بالملل وبالتعب.

زارنا بعض الضيوف ، وجلس أبي وأمي معهم ، سألوا عني وكنت مستغرقاً في لعبة الحاسوب. لم أذهب لأسلم عليهم. شعرت بالأسف حينما ذهبوا.

قالي لي أبي :

-أنا وأمك ذاهبان إلى النادي ، هل ترافقنا ؟.

أجبته :

-لا ، وأنا مستمر مع الكمبيوتر.

ارتدت أُمّي ملابسها استعداداً للخروج وقالت لي :

- هيا اخرجْ معنا ، وتنفسْ هواءً نقياً.

وقف أبي عند الباب وقال :

-ها نحن خارجان لنكون جزءاً من العالم الخارجي. هل تريد شيئاً ؟ تابعت مع جهاز الكمبيوتر ، وقلت:

-لا شكراً ، رافقتكما السلامة . لا تنتظراني.

2- الناموسة

الناموسة

أ- **حوار :**

قلت لها : ارحلي أيتها الغريبة .

أخذت تَزِنّ.

قلت لها : ارحلي وإلا ....

أخذتْ تَزِنُّ .

حرَّكتُ يدي باتجاهها .

ابتَسَمَتْ وهَرَبَتْ.

ب- **عودة :**

عادتْ تَزِنُّ .

قلت لها : سأقتلك .

أخذت تَزِنُّ.

ابتسمت ثم قهقهت .

ج- **القتال:**

أخذت تَزِنُّ.

أقسمت بالله أنْ أقتلك .

أخذت تَزِنُّ ، ويكاد طنينها يخترق أذني .

قلت لها : لا فرار هذه المرَّة .

سمعتها تَزِنُّ ، ورأيتها تحطُّ على ذراعي المكشوفة.

تشاطرت ، و هَوَيْتُ على ذراعي بكفٍّ شديد.

كانت ضربة شديدة.

لكنها هُربُتْ وابتُسَمَتْ.

د- **الانتصار:**

عادتْ مرة أخرى .

أَخذَتْ تَزِنُّ.
وقُلتُ : سأتجاهلها كي تحطّ على مكانٍ قريبٍ وأقتلها.
ابتَسَمَتْ ، وأَخَذَتْ تَزِنُّ ، وحَطَّتْ على رُكبَتي المكشوفة .
قلتُ في نفسي : هيا استجمعْ قُواك وتركيزك.
استقرت على فخذي. كنت أتميز غيظاً .
استجمعت قوة ذراعي ، وهويت بِكَفّي على حيث كانت تقف على فخذي.
كانت الناموسة مزهوة هناك .
أستطيع القولَ إنّني قد قضيتُ عليها. كان هناك بعض من الدم ، وكانتْ تئِنُّ وهي تقول لي : هذا دمك .... هذا دمك .
وضحِكَتْ ضَحكةً أخيرة وماتتْ.

.....

3- الهـدية

الهــدية

حينما أقبل وهو يحمل طبق البيض إليهم ، كان حجم البيض كبيراً جداً ، وقد جاء به من مزرعة الدواجن التي يملكها ، وقرّرَ أن يهديه إلى قريب لهم .
قرع الجرس وفتح صاحب المنزل الباب له ، رحَّبَ به ، وأصرَّ عليه أن يدخل ، واعتذر بسبب انشغالاته ، وقدَّمَ له طبق البيض.
شكره صاحب المنزل بحرارة ، وودَّعَه وانصرف مسرعاً.
تجمعت الأسرة كي ترى هذه الهدية .
وتساءلت المرأة: لماذا يُقدِّمُ قريبهم هدية لنا طبقا من البيض ؟
وسأل آخر: لماذا يهدينا البيض الآن مع أن لديه مزرعة البيض من سنين ، ولم يفعل ذلك من قبل ؟
وعلَّق أحدهم: لعلّه أراد أن يتفاخر بإنتاج بيض مزرعته ، أنظروا كم هو كبير!! .
تساءل صاحب المنزل: هل تعتقدون أن هناك سراً وراء هديته ؟
أجابت سيدة المنزل: هذه الهدية ليست بريئة ، لا بد من هدف من ورائها.
وقرَّرَتْ الأسرة أن تختبر ميزة هذا البيض.
وقال أحدهم : لا بد أن حجم البيض هو السر.
وقال آخر: لا ، إنَّ ما بداخل البيض هو السر.
وقال ثالث: لا ، بَلْ إنَّ غلاف البيضة هو السر.
وأخذوا يكسرون بيضة وراء بيضة ، ويكتشفون أن كُلّ واحدة ذات صفار واحد ، وحينما أنهوا تكسير البيض جميعه وجدوا أنَّ جميعه بصفار واحد.
ثم سألت سيدة المنزل: البيض هو البيض ، مثل البيض الذي نشتريه من السوق ، إذن لماذا جاءنا به ؟.
وسَمِعَتْ صوتاً من أفرادِ أُسرتِها يقول : هكذا أرادونا أن نتأكد من أن البيض ينكسر.

*****

ما هذا الجحيم كُلَّه ؟!

ما هذا الجحيم كُلَّه ؟!.

مهداة : إلى الشهداء من أطفال غزة فداء أمة في حالة سُبات عميق

1. **الطفلة الأولى :**

هنا كنا نلعب ، هذه مدرستي ، مساحتها ليست كبيرة ولكنها كانت كافية لنا كي نركض فيها ونلعب الاستغماية ، ونصرخ ونضحك ، وننظر إلى معلمتنا من بعيد وهي تراقبنا ، لم نكن نعرف ماذا سيكون . كانت السماء صافية والبحر ليس بعيداً عنا .. كانت السماء لنا ، هكذا كنا نظن . لم نكن ننتظر شيئاً من السماء سوى الفرح ، ولكن ها هي الطائرات تقذف حممها ، هؤلاء الإسرائيليون يقتلون فرحنا .... القذائف تنهال في أماكن كثيرة ... دبَّ الذعُرُ بيننا ونحن نتساءل : ماذا صنعنا لنعيش هذا الجحيم كُلَّه ؟!.

2. **الطفلة الثانية :**

طلبت منا مديرة المدرسة أن نعود فوراً إلى بيوتنا ، وقالت أن نسير متفرقات عن بعضنا البعض لأن الإسرائيليين يستهدفون الأطفال قبل الكبار. وسيفرحون أن يجدوا صيداً ثميناً من الأطفال مجتمعين .كانت سيارات الإسعاف تنطلق مسرعة وهذا يعني أن الضحايا كثيرون . لم أَكدْ أقتربُ من منزلنا إذْ رأيت منازل مُهدَّمة. أكوامٌ من جدران الإسمنت سقطت على رؤوس ساكنيها... يا الله ماذا فعل هؤلاء الناس ليعيشوا هذا الجحيم كُلَّه ؟!.

3. **الطفلة الثالثة :**

ذهبت صديقتاي كل منهما في اتجاه إلى منزليهما ، كانت بيوتنا متباعدة في اتجاهات مختلفة من حي الشجاعية ... كان الرعب يدُبُّ في مفاصلي وأنا أسمع

دَوِيَّ الانفجارات في كل مكان. هذه سُحُب الدُخان تغطي حي الشجاعية ، وأناس كثيرون يهرولون دون هدف . إلى أين سيهربون من هذا الجحيم ؟!. وأين يمكن أن يلتجئوا من حِمَم النار ؟!.
هذه القذائف تحاصرنا من البحر ، وطائرات إسرائيل تُدوّي فوق الرؤوس ، ودباباتهم تقف على مشارف الشجاعية وهي تُطلق حممها ، لا تمييز بين صغير وكبير ، بين مدني ومقاتل ، ونحن ندعو الله أن يسلم أهلنا من حمم الجحيم التي تنهال علينا من البر والبحر والسماء. ما هذا الجحيم كُلَّه ؟!.

4. الطفلة الأولى :

ما أن وَصَلْتُ إلى حارتنا لم أعرف ماذا حلَّ بها ، أهذا هو الحي الذي نسكنه .... تغيّرت ملامح الحي تماماً... أكوامٌ من البيوت المنسوفة على رؤوس أهاليها...الحرائق في كل مكان ولا رجال مطافئ موجودون .
تساءلت وأنا لا أعرف ماذا جرى لساكنيها ؟!. هل بقي أحد من أهلها ؟!..
هذا بيت عمي مُدمَّر تماماً ، وهذا بيت خالتي قد سُويَّ بالأرض... أخذت أبكي ،
وَصلتُ إلى بيتنا .... هل قُلتُ بيتنا .. ؟ لا بل إنه الشيء الذي كان بيتنا . وصلته وكان حطاماً ... وكانت أشياء كثيرة متناثرة.... وسائد وكراسي محطمة وكتبي وألعابي وأوراق متناثرة ، ولكن أين أهلي ؟!. وجلستُ على الأرض أبكي وأبكي ، وتساءلت لماذا يا ربي هكذا دوماً على الفلسطيني أن يُصاب بالنكبات وأخوتنا العرب وأحرار العالم يتفرجون ؟!.

5. الطفلة الثانية:

كانت صفارات الإنذار تُدوّي ، في الطريق قابلني ابن عمي ، أمسك بيدي وقال لي يا مجنونة إلى أين تذهبين ؟!. كان مذهولاً ، وقال لي هيا نهرب من

الجحيم. حاولت أن أتملص من قبضته القوية. وأنا أصرخ في وجهه . دعني وشأني أريد أن أذهب إلى أمي ، كان ابن عمي في الثلاثين من عمره ، قال لي : لم يبق أحد في المنزل جميعهم تركوه .
وجذبني جذبة قوية ، وقال الجميع لجأوا إلى المدرسة هيا بنا.
وذهبنا في اتجاه آخر نحو مدرسة الذكور لوكالة الغوث ،
ذهبت معه إلى المدرسة ، وتلقتني والدتي بأحضانها الدافئة ، ولم ألمح دموعها التي كانت تختزنها ، ولم تقلْ لي أن والدي وأخي قد استشهدا أثناء القصف العشوائي الإسرائيلي لمنازل المدنيين الآمنين. وتساءلت لماذا يا ربي هكذا دوماً على الفلسطيني أن يقوم بالتضحيات وأخوتنا العرب وأحرار العالم نائمون ؟!.

6. **الطفلة الثالثة:**

وصلت بيتنا ، واكتشفت فيما بعد أن أسرتنا كانت أسعد حظاً مقارنة بالجيران. القذائف التي وصلته لم تدمره بالكامل ، واستطاع أفراد أسرتي النجاة من حمم القذائف الإسرائيلية بينما ماتت أسرة بالكامل من عشرة أنفار من جيراننا تحت ركام منزلهم المحطم .. وصلتنا رسائل من العدو الإسرائيلي على الهواتف الجوالة لإخلاء المنطقة ، ولكن بعد دقائق من إرسال الرسائل كانت قذائفهم تنهال على رؤوس الأهالي قبل أن يُتاح لهم فرصة للنجاة أو الهرب إلى ملاذ آمن ... حينما خفّ الهجوم علينا وتوقف جحيم القذائف من الانهيال على منازلنا ..... قال أبي أسرعوا لنذهب إلى مدرسة ذكور وكالة الغوث التابعة للأم المتحدة ، لقد سمعت أنها مكان آمن . وتساءلت لماذا يا ربي هكذا دوماً على الفلسطينيين أن يموتوا بالجملة ، وأخوتنا العرب وأحرار العالم صامتون ؟!.

7. **ما لم تستطع الطفلات الثلاث أن يروينه لنا :**

التقت الطفلات الثلاث وتجمعن سوياً ، وبدأنَّ يحكين ما سمعنه عن ضحايا القصف الإسرائيلي العشوائي للمدنيين أخذت كل واحدة تحكي عما سمعته

من ضحايا لعائلات كثيرة ، هل عرفت أن عائلة (.....) المكونة من ( ) استشهدت بالكامل ، وثانية تقول هل عرفت أن سعاد رفيقتنا هي وشقيقها الرضيع استُشهِدا .... وثالثة تقول هل تعرفي أن منزل زميلتنا تم تدميره تماماً ولم يبق منه شيء.

هذه صورة لبعض ما تناقلنه ، ولكن قلوبهن لم تكن تعرف الهزيمة.... قالت الفتيات أن الطائرات وصواريخ العدو وأسطوله ودباباته لن ترهبنا ... تحدثن عن التضحيات والشهادة والوطن الذي يحلمن فيه حراً بلا إسرائيليين وبلا صهاينة... ولكن تساؤلاً ظل يحيرهن... أين أخوتنا العرب ...أين أحرار العالم ...أين هم ... لماذا يصمتون ولا يتحركون ... هل هم أيضاً يقفون في صف العدو... هل من المعقول أنهم تصهينوا ؟؟

قضت الفتيات الثلاث يومهن في المدرسة التي باتت تستقبل المزيد من العائلات التي تبحث عن ملاذ آمن .... لم تعد الصفوف كافية لهم... واضطر الرجال أن يتركوا غرف الصفوف للنساء وأطفالهن ، ما هذا الجحيم كُلَّه ، ، ، وافترشوا ساحة المدرسة على أمل أن مدرسة يرفرف عليها علم الأمم المتحدة يمكن أن تحميهم.

ولم يدم هذا الحلم بالملاذ الآمن طويلاً.... غارات بالطائرات تقذف المدرسة ، والمئات من الأطفال والنساء والشيوخ يسقطون ضحايا القذائف التي وجهتها الطائرات الإسرائيلية نحوهم.... الطفلات الثلاث لن تسمع صوتهن بعد الآن ، والعالم كان ينظر ويتفرج ، والعرب نائمون ويتفرجون .. . بينما شاهد العالم في التلفزيونات ممثل الأمم المتحدة في غزة يعلن عن الضحايا من الأطفال والنساء وهو يبكي بكاء مريرا لم مثله عند أي مسؤول عربي.

عمان 2014/8/2

حِذاء في وجه إمبراطور الشر

سردية قصصية شبه وثائقية

حِذاء في وجه إمبراطور الشر

1- بطاقة تعريف

- من مواليد الخامس من كانون الثاني 1979 في منطقة الكاظمية شمال بغداد ، وينحدر من مدينة العمارة محافظة الناصرية جنوبي العراق ويسكن حالياً في شقة مع أشقاء له في شارع الرشيد وسط بغداد.

- أعزب عمره 29 عاماً ، ويتميز بهدوء طبعه مع زملائه ، معروف برفضه الاحتلال الأميركي للعراق.

- تخرج من كلية الإعلام في بغداد لكنه حديث عهد في الصحافة وعمله في قناة البغدادية يعتبر أول ممارسة له في العمل الصحفي.

- اختطف من قبل جماعة مجهولة في منتصف نوفمبر/تشرين الثاني 2007 ثم أطلق سراحه بعد ثلاثة أسابيع في ظروف لم يعلن عنها.

ذكرت (CNN) أن اسمه برز للمرة الأولى عندما تعرض للاختطاف على أيدي مجهولين أثناء توجهه إلى مقرعمله في السادس عشر من نوفمبر/تشرين الثاني عام 2007.

وقالت غارديان إن هذه ليست المرة الأولى التي أصبح فيها في بؤرة الأخبار ، فقد اختطف منذ أكثر من عام أثناء ذهابه لعمله وعند إطلاق سراحه قال إن محتجزيه سألوه عن عمله وضربوه. وفي يناير/كانون الثاني الماضي احتجزه جنود أميركيون وفتشوا بيته ثم أطلقوا سراحه.

أطلق الخاطفون سراح الزيدي ، البالغ من العمر 29 عاماً ، دون مقابل مادي أو فدية ، وخلال عملية اختطافه ، خصصت محطة "البغدادية" التي يعمل بها برنامجاً من ساعتين له في 18نوفمبر/تشرين الثاني من العام نفسه ،

وبعد إطلاق سراحه ، رحبت منظمة مراسلون بلا حدود بإطلاق سراحه في بيان لها ، وقالت: "نرحّب بعودة هذا الصحافي سالماً معافى إلى أسرته بعد أن أثارت عملية اختطافه موجة من القلق في العراق التي شهدت تصفية عدة صحافيين خلال اعتقالهم هذه السنوات الأخيرة".

- معتقل حالياً لدى حرس رئيس الوزراء العراقي وهناك مطالبات من عدة مؤسسات صحفية عراقية بإطلاق سراحه.

وقال مصدر في قناة البغدادية إن منتظر كان يعمل لقناة الديار المحلية سابقاً وقبلها في عدد من الصحف المحلية وهو شيوعي يساري في ميوله السياسية ومناهض للأميركيين والقوات الأميركية ومتشدد في معارضته للرئيس الأميركي بوش. وأضاف المصدر إن منتظر توعد قبل حوالي سبعة أشهر أمام عدد من الصحافيين بأن يلقي حذاءه على رأس بوش إذا سنحت له الفرصة بحضور مؤتمر للرئيس بوش إلا أن الآخرين اعتبروه مجرد كلام ليس أكثر. (المصدر : **قناة الجزيرة وقناة البغدادية وCNN و الغارديان)**

2- إعادة بناء القصة لماذا جرى ما جرى وماذا سيجري ؟

حينما وُلِدَ منتظر كان ذلك في عهد صدّام. مع ولادته ، كان العراق غير العراق قبل مولده ، إذ بعد نجاح الثورة الإسلامية الإيرانية بقليل حيث تولى الخميني زمام الأمور دخل العراق في حربه الدامية مع ايران...

لم يشهد منتظر الرخاء الذي عاشه أبناء شعبه في مرحلة ما قبل الحرب. مع طفولته عاش مرحلة الحرب التي أسماها الإعلام العراقي قادسية صدّام ، وراقب بعين الطفل مآسي الحرب بما فيها من ضحايا وتضحيات. وشهد كيف أصبح صدّام هو محور الحياة في العراق ، وشهد كيف أن الناس جميعهم كانوا يعيشون حياة تآخ بدون أن يعزلهم اجتماعياً أية أسوار طائفية ، تصاهروا وتصادقوا وعانوا معاً من نقص الأشياء في زمن الحرب ومن نقص الحرية والديمقراطية معاً ، وسمع عن إعدامات لكل من يقول لا لصدّام.

وقبل أن ينهي دراسة المرحلة الابتدائية ، وجد بلده التي لم تلتئم جراحها بعد من آثار الحرب العراقية الإيرانية ، مرة أخرى تدخل في حلبة صراع دولي بعد احتلال الكويت 1990 وليواجه بلده حرباً تقودها الولايات المتحدة تحت شعار التحالف الدولي يؤدي إلى انسحاب العراق من الكويت ، ليعاني إثر ذلك من حصار دولي وقرارات دولية ملزمة تحت البند السابع ، تفرضها الولايات المتحدة الأميركية على مجلس الأمن في الأمم المتحدة مما يجعل حياة الناس اليومية حياة صعبة..... يموت مئات الآلاف من الأطفال من نقص الغذاء والدواء الذي تحكمت به لجان دولية تسيطر عليها الولايات المتحدة ، وتعزّز ذلك بقرار يفصل شمال العراق عن جنوبه بخط وهمي يعزز نزعة الانفصال الكردية.

وتبدأ لجان البحث عن أسلحة الدمار الشامل لجنة تلو الأخرى. كل هذا حصل والشاب منتظر ، يعي ويراقب ويتألم لما يحصل لوطنه ، يراقب في طفولته كيف تقف قوة عظمى بقيادة بوش الأب لتدمر العراق في عام1991 ، ويعيش بداية شبابه ليشهد كيف أن بوش الابن يدمر جسور بغداد ويقتل مئات الآلاف ، ويشاهد مظاهر الإذلال لشعبه التي شاهدها العالم في معسكر أبو غريب ويشاهد كيف أن بلاده تنهب ، متاحفها وثرواتها وعلماؤها وكيف يتم تمزيق وحدة الشعب ، وكيف يتراجع العراق ، كيف يقتل علماء العراق ، وكيف يهاجر الملايين من بلادهم ..... أي إذلال ذاك ؟

أما منتظر خلال ذلك كله فعرف معنى حب العراق وحب الوطن وكان عليه أن ينتظر..

3 - هذه الحرب الصليبية هذه الحرب ضد الإرهاب

في المؤتمر الصحفي الذي أجراه بوش الرئيس الأمريكي يوم الأحد 2001/9/16 قال الرئيس الأمريكي:

"This crusade, this war on terrorism is gonna take awhile. And the American people must be patient. I'm gonna be patient,"

"هذه الحرب الصليبية, هذه الحرب ضد الإرهاب سوف تأخذ وقتاً, والواجب على الأمريكان أن يتحلوا بالصبر الذي سوف أتحلى به"
وانتقد أحد كبار السياسيين الأمريكان الرئيس لاستخدامه هذه العبارة ، وذلك في البرنامج الشهير "NIGHTLINE" الذي يقدمه المذيع الأمريكي الشهير " Ted Koppelsتيد كوبلز" في قناة ABC حيث قال:
- "أخطأ الرئيس في استخدامه هذه العبارة وذلك لأسباب منها:
أولاً: أن الصليبيين في الحقيقة قد هزموا في تلك الحروب على يد صلاح الدين ... وليس من المناسب التذكير بهزيمة في وقت نحن في أمس الحاجّة فيه إلى النصر...
ثانياً: هذا المصطلح "الحروب الصليبية" سوف يثير وبشكل كبير حلفاءَنا من المسلمين الذين نحن في أمس الحاجّة إليهم في معركتنا الوشيكة مع الإرهاب.....".

4- <u>تعذيب العراقيين " داخل معتقلات أميركية</u>:

في تقرير لها أعلنت لجنة الدفاع في مجلس الشيوخ الأمريكي أن رامسفيلد وزير الدفاع السابق ومسؤولين آخرين في الإدارة الأميركية يتحملون معظم اللوم عن حوادث تعذيب المعتقلين ، في معتقل أبوغريب في العراق ، ومعتقل جوانتانمو الأمريكي على الأراضي الكوبية. ولفت التقرير إلى أن "وسائل التعذيب مثل تعرية السجناء وإرهابهم بالكلاب وجعلهم يقفون مطولاً في أوضاع غير مريحة ظهرت في العراق بعد أن تم الموافقة على استخدامها في أفغانستان وجوانتانمو".

"وقد رُخصت جمعية ضحايا سجون الاحتلال الأميركي في العراق رسمياً في الأردن العام الماضي انطلاقاً من هيئة تأسيسية تضم اثني عشر عراقيا يؤكدون تعرضهم للتعذيب داخل معتقلات أميركية في العراق ، الخاضع لاحتلال أميركي منذ ربيع عام 2003 في الوقت الذي كان فيه رامسفيلد وزيراً للدفاع. وقد تعرض **حاج علي** أحد مؤسسيها ، وهو مدرس سابق ، للاعتقال بعد ستة أشهر من دخول القوات الأميركية إلى بغداد. إذ احتجز في "زنزانة" انفرادية لمدة أربعة وستين يوماً وتعرض لصنوف عدة من "التعذيب من بينها الصعق بالكهرباء ووضع فوهات بنادق وأطراف عصي في مواقع حساسة من جسمه".

5- الأم:

يخرج منتظر كل يوم إلى عمله ، وقبل أن يخرج يُقبِّل يدي ورأسي ، ويطلب مني أن أسامحه وأرضى عنه.

منذ طفولته كان يُحبّ الجيران ويساعدهم ، لم يكن يطلب الشيء الكثير ، ولكنه دائماً كان يطالب بحقه ، ولا يتنازل عنه أبداً مهما كلفه الأمر ، كنت أقول له يا بني الحياة تحتاج أن تتنازل لتسير أمورها ، ولكن كان يقول كل شيء يتم التنازل فيه إلا الحقوق ، كان ينرفز إذا شعر أن مدرساً من مدرسيه حابى أحد الطلبة على حساب زملائه ، أو أنقص من علاماته علامة واحدة. وحينما تخرج من الجامعة فرحنا به ، وكان يشعر بأن مسئولياته نحو أسرته وبلده قد ابتدأت يوم تخرجه.

اليوم صحا مبكراً وشرب قهوته .... وكان يبدو عليه القلق ، تناول لقيمات من إفطاره... لم يأكل بشهية كعادته ، ثم حمل حقيبته وقبل يدي ورأسي واحتضنني وليست هذه من عاداته اليومية ، وطلب مني أن أدعو له.. وأرضى عنه وأسامحه.

دعوت له ، وقبل أن يخرج حرص أن يودع أفراد العائلة ، وعند الباب قال: أدعي يا أمي أن ينصرنا الله على أعادي الوطن ... وخرج.

6- بائع الأحذية:

دخل ذلك الشاب جائلاً ببصره على الأرفف ، كان وجهه مألوفاً ، تقدمت إليه قائلاً هل أستطيع مساعدتك ؟ ؟

قال:

- لا شكراً ، سأبحث عن ما يناسبني وأعلمك.

سألته:

-ألم نلتق من قبل ، أنا أعرفك ، من أنت ؟ ؟

أجابني بابتسامة غامضة:

- "أنا المنتظر" ،

ومدَّ يده ليتناول حذاء ، وطلب مني مقاساً ، سألت مساعدي أن يحضر له المقاس الذي طلبه .

وبإلحاح قلت له:

- لا تمزح معي ... ألست أعرفك ؟ أنا متأكد أني أعرفك.

كانت فضائية البغدادية هي محطتي المفضلة أتابعه ، ا وكانت المحطة تذيع أغنية ، بعد ذلك أطلت علينا مذيعة تعلن عن مراسلي المحطة... وأطل وجهه... وقلت له ها أنت هذا... وجهك مألوف لي من التلفزيون..

ابتسم ... قاس حذاءه ، دفع ثمن الحذاء ولم يساوم كعادة أهل بغداد ، تناول الحذاء وانصرف ، ليت أني كنت أعرف ما يدور بخلده ، ،لأعطيته كل أحذية المحل.

7 - منتظر الزيدي:

في طريقي إلى المؤتمر الصحفي الذي دعينا إليه فجأة لم يكن هناك مجال للتفكير أو لإعداد أي شيء.. كل ما كان يجول بخاطري صورة كريهة لزعيم أخرق احتل بلادنا نتيجة أحلامه الإمبراطورية وإلهامه المريض ليوصل عراقنا إلى الهاوية. تم تمزيق الوطن وأبناء الشعب الواحد أصبحوا كأنهم شعوباً يتناحرون على وهم اسمه الطائفية ، زعماء الطائفية في بلدي يتلقون تعليماتهم من الخارج... ليس في ذهني سوى شخصية زعيم حرق بلادي.... ماذا أسألك يا بوش في المؤتمر الصحفي ؟.. هل أسألك عن مئات الآلاف من أبناء شعبي الذين ماتوا وسقطوا ضحاياك ، ومئات آلاف من الأطفال الذين ماتوا من جراء الحصار ، ومن جراء الجوع والإرهاب الذي ساد في مدن العراق ، والعنف الموجه نحو أبناء الشعب ، والتفجيرات الانتحارية التي يقتل الأخ فيها أخاه ، وينسى أن قوات الاحتلال تسيطر على الأرض وعلى زعماء الشعب ، وتحول روح الشعب إلى روح مهزومة ، وتشرد شعبنا في المهاجر.

ماذا أسألك يا بوش وأنت جئت لوداع جنودك ، لوداع أتباعك من قادتنا الذين نسوا الوطن على حساب منافع شخصية أو طائفية رخيصة. ماذا أسألك وأنت جئت لتدشن اتفاقية لوجود المستعمر على أرض العراق ؟

نعم جئت للوداع... سوف أودعك بطريقة تناسبك سأهديك " قبلة الوداع ".

في ذلك المؤتمر الصحفي وهو على المنصة ، صِحتُ وأنا أقذف الحذاء الأول في وجهه: "هذه قبلة الوداع من الشعب العراقي أيها الكلب" وصحت وأنا أقذف الحذاء الثاني: "وهذه من الأرامل والأيتام".

خذها... هذه فردة الحذاء لك ، وخذ هذه الثانية أيضاً ليشهد العالم على جرائمك هنا ، وفي كل مكان من العالم ولتكن مشاهد وداعك على أرض بغداد وداعاً أسطورياً.

8– جورج بوش في زيارة وداعية مفاجئة إلى بغداد:

حين هبطت الطائرة في أرض العراق... قلت هل كان لسلفي أن يتخيل كيف أصبحت العراق لنا...ها أنا أودع قواتنا الذين دخلوا العراق لنؤمن مصالحنا ، ويضمنوا لنا النفط والسيطرة على المنطقة العربية ... سألتقي حلفائنا العراقيين الذين سنوقع معهم اتفاقية ، ومعها أكون قد أديت نداء الرب.

حينما وقفت على المنصة لأحدث الصحفيين شعرت بالوجل للحظة لقد اقتحمنا بلادهم بناءً على كذبة أسلحة الدمار الشامل.. سقط آلاف من قواتنا ومئات الآلاف منهم ، لكن ذلك كان ثمناً مقبولاً لنسيطر على المنطقة والعالم.

سأعلن للصحفيين في العراق أن:

''العمل لم يكن سهلاً أبداً لكنه كان ضرورياً للأمن الأميركي والسلام في العالم ، وآمال العراق''. ''إنني شديد الامتنان لهذه الفرصة التي أتاحت لي العودة الى العراق قبل انتهاء ولايتي الرئاسية'' (بغداد — ا ف ب —).

لم أستطع أن أنظر في عيون الصحفيين ، كنت أخشاها أخشى أن تلتقي عيناي بوالد أو شقيق أو قريب أو صديق لأحد ضحايا حرب العراق...

كانت صرخة من أحد الصحفيين — لم أفهم معناها — دوت كلماته وشعرت بأنها تخترق أذنيّ ويرافقها حذاء موجه نحو رأسي... خفضت رأسي كي أتحاشى هذا الحذاء الصاروخي.. وشعرت برهبة كبيرة ، وكانت فردة الحذاء الثانية تتوجه نحوي.

وانحنيت لأتجنب الحذاء الثاني الذي مرّ قرب رأسي وأصاب العلم الأميركي المرفوع خلف المنصة. وقلت هازئاً هذا لا يزعجني. ولا أدري أي قضية كان يدافع عنها ، لكنني لم أشعر بأي خطر ،

وقد عرفت لحظات غريبة أخرى خلال عهدي الرئاسي ، أن الحادث ذكرني بحادث غريب

كانت مجرد لحظة غريبة في حفل استقبال الرئيس الصيني هو جينتا وأمام البيت الأبيض ، أذكر حين كان هو جينتاو هنا (..) يتكلم ، فجأة سمعت

جلبة ، لم يكن لدي أي فكرة عما كان يجري ، لكنني رأيت تلك المرأة من حركة فالوغونغ المقموعة في الصين تصيح بأعلى صوتها. كانت لحظة غريبة.

أنا زعيم العالم ، ، ،أغادر ، ،ولكن ليس بهذه الطريقة ، ،وكان علي أن أتماسك وأعتبر الأمر تافهاً ، وهو طريقة للتعبير عن الرأي ، ولكن في داخلي كنت أتمزق.

9- خبر من وكالة الأنباء الفرنسية :

بغـداد — ا ف ب — (15- 12- 2008) قـام مراسـل قنـاة البغداديـة الصحافي منتظرالزيدي الذي كان واقفاً بين المراسلين برشق حذائه باتجاه الرئيس الأميركي جورج بوش ورئيس الوزراء نوري المالكي دون أن يصيبهما بينما كانا في مقر الأخير مساء أمس قائلاً هذه قبلة الوداع يا كلب. وحاول المالكي حجب بوش لكن الحذاء لم يبلغ أياً منهما. وسارع عناصرالأمن الأميركي والعراقي إلى سحب الصحافي الذي كان يصرخ بأعلى صوته.

وابتسم بوش قائلاً: " لقد قام بذلك من أجل لفت الانتباه إليه ، هذا الأمرلم يقلقني ولم يزعجني. أعتقد أن هذا الشخص أراد أن يقوم بعمل يسألني الصحافيون عنه. لم أشعر بأي تهديد.

10- الناس:

تناقل الناس المشهد الذي نقلته فضائيات العالم كله... حذاء في وجه بوش...والناس يقولون يا منتظر يا لك من بطل... يخرجون في شوارع بغداد ويقولون يا له من بطل ... إنها إهانة لبوش الذي أهان الشعب ، طريقة رمزية للتعبيرعن الرفض لجرائم اقترفت في حق شعب عانى من ويلات حرب ظالمة.

وقـام متظـاهرون شـيعة فـي النجـف برشـق دوريـة عسـكرية أميركيـة بالأحذية ، في وقت تجمعت حشود في أنحاء بغداد شاهرة الأحذية ومطالبة بإطلاق سراح منتظرالزيدي الذي أصبح حديث الصحافة العربية.
وفي السعودية نشرت صحيفة محلية أن رجلاً عرض شراء الحذاء الذي أصبح الأكثر شهرة في العالم بمليون دولار.
وقيـل إن ابنـة الـرئيس الليبـي معمرالقـذافي أعلنـت تكـريم الزيـدي (29 عاماً) بوسام الشجاعة.
وفي مدينة الصدر ببغداد ، دعت مظاهرة حاشدة إلى الانسحاب الفوري للقوات الأميركيـة مـن العـراق ، وقـد وضـع المتظـاهرون الأحذيـة والنعـال علـى سـواري مرتفعـة يلوحـون بهـا فـي الهـواء ، كمـا قـذف المتظـاهرون فـي النجـف المواكـب الأميركية المارة بالأحذية.
وفـي سـوريا ظهـرت صـورة الزيـدي علـى مـدى يـوم كامـل علـى محطـة التلفـزة الحكوميـة إلـى جانـب سـوريين يعبـرون عـن إعجـابهم بشـجاعة الزيـدي ، كمـا ظهرفي وسط دمشق شعار كبير يقول "أيها الصحفي البطل ، شكراً لك كثيراً على ما فعلته".

11- شعوب العالم:

يا منتظر الزيدي لقد انتظرناك طويلاً ليته كان باستطاعتك أن تقذف في وجهه ألف حذاء نيابة عن كل شعوب الأرض.

12- ما يقوله باراك أوباما:

قلتُ في ثاني مناظرة تلفزيونية لانتخابات الرئاسة الأمريكية التي جرت في ناشـفيل بولايـة تينيسـي إن "الولايـات المتحـدة اتخـذت قـراراً خـاطئاً بغـزو العراق وترك زعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن حراً طليقاً".

وقد أعلنتُ في مدينة شيكاغو الأمريكية ، اليوم الأربعاء بعد ساعات من إعـلان فـوزي بانتخابـات الرئاسـية الأمريكيـة:" إن آبـاء الجنـود الأمـريكيين العـاملين فـي العـراق ، ينتظـرون عـودة أبنـائهم إلـى وطـنهم ، وإنهـم يـدفعون الكثير من الضرائب بسبب الحرب في العراق ، وإن هذا سيتغير" ، ما الذي يجري ؟ أهكذا يعامل زعيم أكبر دولة في العالم ...؟

لكن بغداد ليست هي مثل الصورة التي نقلتها لنا إدارة بوش عنها... يا بوش لم تكن بحاجّة أن تعرف ماذا صنعت في العراق لتكون هذه نهايتك وتكون هكذا قبلة وداعك.

13- قاضي التحقيق يكشف تعرض الزيدي للضرب:

(الجمعة 19 ديسمبر 2008 09:35 GMT)

أعلـن قاضـي التحقيـق العراقـي "ضـياء الكنـاني " الـذي يتـولى قضـية منتظـر الزيدي أن الصحفي العراقي قد تعرض للضرب. وأضاف القاضي ضياء الكناني إن الزيدي الذي لا يزال في الاعتقال بدت على وجهه آثار ضربات ، مشيراً إلى أنه لم يقم بتقديم دعوى رسمية بسبب ما تعرض له من عنف جسدي.

وأعلن قاضي التحقيق أنه رفض طلباً بالإفراج عن الزيدي بكفالة مالية تقدم بها محاميه ، وكان القاضي قرر الأربعاء تمديد حبس الصحفي بعد أن استمع إلى إفادته.

واعتبر الكناني استمرار حبس الزيدي "في ذلك مصلحة التحقيق وحفاظاً على سلامته".

وأضاف القاضي "لو أفرج عنه سيكون هناك خطر عليه بسبب القنابل اليدوية الصنع أو الاعتداءات وسيلاحقه الصحفيون".

وقد يوجه الاتهام إلى منتظر الزيدي بموجب المادة 223 من قانون العقوبات العراقي الخاصة بالاعتداء على رئيس دولة أجنبية أثناء زيارته الرسمية إلى العراق وهي تهمة تصل عقوبتها إلى السجن 15 عاماً. ولكن في حال تغيير التكييف القانوني للتهمة فقد تصل العقوبة إلى السجن خمس سنوات.

14- رسائل قصيرة عبر الموبايل:

رسالة (1)

بعد مؤتمر الأمس والهجوم الحذائي على بوش قررت الولايات المتحدة تصنيف شركات: باتا/ كلاركس/ ناين وست / ريكر/ بالي/ نايكي/ كشركات راعية للإرهاب.

رسالة (2)

قرر الزعماء العرب عقد مؤتمراتهم الصحفية في المساجد فقط.

15- ضرب بوش لعبة إلكترونية جديدة على الإنترنت

كتب — سيف كامل — بعد أقل من يومين من قيام المراسل الصحفي العراقي منتظر الزيدي بقذف الرئيس الأمريكي جورج بوش بالحذاء ، قامت العديد من المواقع الإلكترونية العربية والأجنبية بعرض لعبة جديدة تحاكي ما حدث.

وقامت بعض المواقع بعرض قائمة بأفضل اللاعبين الذين شاركوا في اللعبة وأفضل النتائج التي وصل إليها اللاعبون. ولوحظ أن المشتركين في هذه الألعاب أغلبهم من العرب والمسلمين مما يعكس مدى كره العرب للنظام الأمريكي بشكل عام وحكومة وشخص بوش بشكل خاص.

16 -كلمة أخيرة 25 — 12 — 2008

لاحاجة للكلام ، لاحاجة للكلام ، لاحاجة للكلام

صالح خليل أبو أصبع

جامعة فيلادلفيا/ عمّان – الأردن

-دكتوراه في الإعلام : جامعة هوارد واشنطن دي سي

-دكتوراه في النقد الأدبي والأدب المقارن، جامعة القاهرة

صدر له:

– في النقد الأدبي :

- فلسطين في الرواية العربية (بيروت : مركز الأبحاث 1975).
- قراءات في الأدب (طرابلس : الشركة العامة للنشر والتوزيع 1978).
- الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة (عمان : جامعة فيلادلفيا 2009).
- الرواية الفلسطينية والمنفى : (الشارقة : اتحاد كتاب الإمارات 2001)
- فلسطين بين تحدي الوجود وثقافة التحدي (عمان : دار البركة 2010)
- مرآة الزمن : قراءات في الثقافة والأدب (جامعة فيلادلفيا / عمان : دار البركة 2012)

– قصص قصيرة :

- عراة على ضفة النهر (القاهرة : مطبعة المعرفة 1972).
- محاكمة مديد القامة (بيروت : دار القدس 1975).
- أميرة الماء (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر 1978).
- وجوه تعرف الحب (قبرص : دار الملتقى 1992
- قصص بلون الحب : المجموعات القصصية (2001).

–صدر له في الإعلام : خمسة عشر كتاباً منها:

- إدارة المؤسسات الإعلامية في الوطن العربي، ط3 عَمَّان، دار مجدلاوي 2010م.
- العلاقات العامة والاتصال الإنساني، ط3 مزيدة، عَمَّان، دار الشروق 2009م.
- الاتصال الجماهيري2010،ط3 عَمَّان، دار البركة 2010م.
- الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة ط6 عَمَّان، دار البركة 2010.
- استراتيجيات الاتصال وسياساته وتأثيراته، ط 2عَمَّان، دار مجدلاوي2010م.
- الدعاية والرأي العام: مفاهيم وتطبيقات، ، عَمَّان، دار البركة 2012م.